جابر عبد السلام

مذبحة الجواسيس

ة المثيرة لأحكم شبكة جاسوسية فى تاريخ الحروب الحديثة

دار النشر هاتييه

جابر عبد السلام

مذبحة الجواسيس

(القصة الحقيقية المثيرة)

لأحكم شبكة جاسوسية فى تاريخ الحروب الحديثة

ضباط ونساء الموساد
عرايا فى إيطاليا



١٠ شارع أبى إمامة - الدقى - القاهرة
ت : ٣٤٩١٥٩٧ - ٣٤٨١٩٦٩ - ٣٤٨٦٩٧٠

المكتبـــات

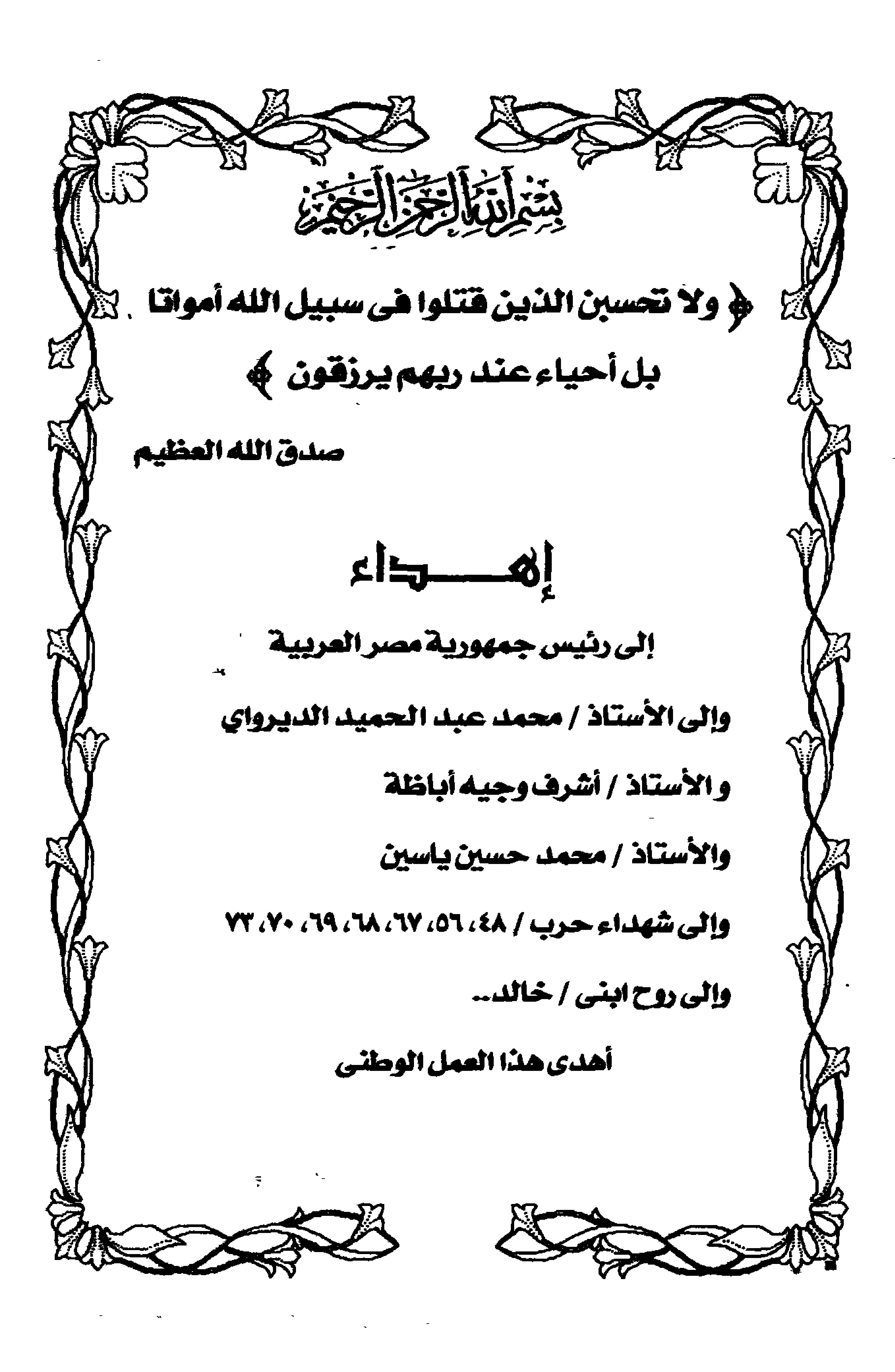
القاهـــرة : ٢٠ شارع الثورة - المهندسين ت : ٣٦١٥٨٣٥

الاسكندرية : ٢٠ شارع كلية الطب - محطة الرمل ت : ٤٨٣٠١٠٦

رقم الإيداع ١٩٩٧/١٥٠٢

I.S.B.N 977-264-587-4

مطابع زمزم - مهندس يوسف عز - العاشر من رمضان



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾

صدق الله العظيم

إهـــداء

إلى رئيس جمهورية مصر العربية

وإلى الأستاذ / محمد عبد الحميد الديرواي

و الأستاذ / أشرف وجيه أباظة

والأستاذ / محمد حسين ياسين

وإلى شهداء حرب / ٤٨، ٥٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٣

وإلى روح ابنى / خالد..

أهدى هذا العمل الوطنى

مقدمة

جلس الدكتور «حسام بدير» فى معمله بكلية الهندسة.. تحيط به الأجهزة والآلات من كل جانب وعينه مسلطة على جهاز صغير أمامه محاولا أن يربط أسلاكه المبعثرة من داخله لعله يحقق الفكرة العلمية التى داعبت ذهنه منذ سنواته الأخيرة فى الكلية وبعد تخرجه منها.

ونجاح الفكرة والمشروع يقترب منه مرة ويبتعد عنه مرات.. ولم يساوره اليأس أبدا فلو نجح اختراعه فسوف يحقق لنفسه وأمته نصرا كبيرا.

حقا أن أشياء كثيرة تنقصه.. أهمها المال وبعض الأدوات التى يحتاجها المشروع.. وكذلك التفرغ لإتمام البحث والتشجيع من المسئولين حتى يستمر فى سيره إلى الأمام أو حتى يتركوه يسير إلى الأمام دون مثبط لعزيمته أو واقف فى طريقه..

ووضع قلمه على المنضدة فى استرخاء وفتور.. ومال بظهره إلى الخلف.. بينما أشعة الشمس الدافئة تتسلل من النافذة لتستقر على كتفيه وتزيل من بدنه قشعريرة هذا اليوم البارد من شهر يناير.

والأيام تمر سراعا والوطن يرزح تحت وطأة هزيمة ١٩٦٧ وطائرات العدو تستبيح سماء مصر فتضرب هنا وهناك لا تفرق بين مدرسة للأطفال أو ملجأ للأيتام أو مستشفى للمرضى والمتعبين.

لقد تحطم الأسطول الجوى المصرى فى ضربة خاطفة وتقلصت فاعليته وأصبحت أجنحته مائلة لا تستطيع الطيران.. وحتى ينبت ريشه ويستجمع قوته لابد من زمن طويل.

وتذيع الأخبار كل يوم نبأ الإغارة هنا أو هناك.

وحتى تقوى نسور مصر وتستطيع المواجهة لابد أن تجد وسيلة لإيقاف هذا التعدى وكبح جماحه.

وعاود النظر مرة أخرى إلى الجهاز الذى أمامه ومازالت أسلاكه المبعثرة تطل من جوفه وتنظر إليه نظرة طويلة ثابتة غامضة.. لا يدرى أن كانت نظرة تحد تبعث فيه اليأس والتشاؤم.. أم نظرة استجداء تستحث فيه العزيمة والقوة والمثابرة كما يواصل المسيرة ويحقق الأمل المرجو.. إن هذا الجهاز الصغير فيه من الإمكانات الجبارة ما تعجز عنه عشرات الأجهزة الأخرى.

إنه سيسد ثغرة تفتح علينا ويكمل نقصا علميا نحن فى حاجة إليه.

إن مصر ليست عقيمة من الرجال والعلماء..

فالعقلية المصرية كانت دائما ولودة مبتكرة.. وقدمت للحضارة أجمل المعارف والفنون التى مازالت راسخة ثابتة حتى الآن فهذه الآثار العظيمة والتماثيل الرائعة باقية خالدة لم يستطع الزمن أن ينال منها شيئا.

وإنجازاتهم العلمية لا تقل بحال عن إنجازاتهم الفنية.. فالأهرامات بنيت بطريقة هندسية تحير العقول وأسرارها الغامضة عجز عن فهمها الباحثون والعلماء.

وكذلك معبد رمسيس فى أعلى الصعيد الذى تشرق الشمس فيه على وجه الملك مرتين فى العام.. مرة فى يوم مولده والثانية فى يوم تتويجه.. إعجاز فى الهندسة والفلك.

وفن التحنيط الذى عجز العلم الحديث عن معرفة المواد التى تستخدم فيه إبداع فى عالم الطب والتشريح.. والرسوم الجميلة فوق جدران المعابد بألوانها الزاهية.. وكأن الصانع نفض يديه منها بالأمس دليلاً على تمكن المصرى القديم من معرفة المواد الكيماوية وطرق استعمالها.. وأعجب من هذا وذاك الحلى الدقيق الصنع التى تعبر عن ذوق جمالى رفيع وخبرة فى التشكيل والصياغة.

ولو تجاوزنا العبقرية المصرية القديمة إلى أجدادنا العرب الذين وضعوا اللبنات الأولى فى الحضارة الأوربية الحديثة.

وهل ننسى ابن سينا والفارابى وابن النفيس وغيرهم من هؤلاء العلماء الكبار فى مختلف فنون المعرفة.. وكان لهم الفضل فى شق الطريق لمن أتى بعدهم.

فلماذا نقف نحن فى مكاننا ولا نفعل مثل ما فعلوا..

لماذا يتقدم غيرنا ونقف نحن..

لماذا نعيش فى ذيل القائمة.. ونوصف بأننا أصحاب عقليات مجدبة. كل يوم نتلقى ضربات تلو ضربات من عدو غادر جبان.. تحميه عقليات علمية منه أو من غيره وتقدم له أعظم أجهزة التدمير والفتك فنصول بها ونجول.. وليس معنا ما نرد من وحشيته إلا حطام بال من أسلحة قديمة عفّ عليها الزمن والدول الغربية تفتح خزائنها لعدونا يغترف منها ما يريد بينما تضن علينا بما نريد.. وإذا تنازلت وأعطتنا فلن تعطينا إلا الفتات الهزيلة الذى لا يصد عدوا أو يحيى وطنا أو ينقذ شعبا من الدمار.

لو رصدنا جزءا كبيرا من أموالنا التى ننفقها ببذخ فى مشروعات لا تسمن أو تغنى من جوع.. فى تنمية مواهبنا العلمية الكبيرة.. وأتحنا للعلماء فرصة البحث والانتظار ووفرنا لهم ما يحتاجون إليه من أجهزة وأدوات لاستطعنا أن ننافس علماء الغرب بل ربما تفوقنا عليهم وقدمنا لوطننا ما يعينه فى محنته التى يمر بها الآن دون أن يجد اليد التى تؤازره وتضمد له الجرح.

وما أكثر علماءنا الذين أثبتوا وجودهم وكانوا موضع احترام وتقدير فى مختلف بقاع العالم ومنهم الدكتور «فاروق الباز» فى أمريكا والدكتور «مصطفى مشرفة» عالم الذرة، والدكتور «يحيى المشد» الذى اغتيل فى باريس عام ٨٠.. والدكتورة «سميرة موسى سليمان» عالمة ذرة أيضا

اغتيلت فى ألمانيا الغربية عام ٦٥ .. وآخرون عظماء مثل الدكتور «جمال حمدان» صاحب كتاب وصف مصر فهؤلاء لا ، ولن ينساهم التاريخ من ذاكرته حتى تقوم الساعة.

وافتخرت بهم المصانع والمعامل والمستشفيات.. فرفعوا رأس مصر عاليا.

لقد أتاحت لهم الدول الغربية فرص البحث حينما وجدت لديهم الطاقات الخلاقة.. فقدموا ما عندهم وأعطوا بلا حدود كأنهم أسود انطلقت من قيدوها لتخطى الصعب واقتحمت الهول.

وحانت منه نظرة أخرى إلى جهازه الصغير.. وزفر زفرة حارة ملؤها الألم والأمل معا.. فبشىء من المال يستطيع هذا الجهاز أن يصنع الكثير والكثير.

ومن يدرى فقد يتحقق الحلم.

ذكريات غالية

وبعيدا عن الجهاز والعلم شرد ببصره بعيدا وعادت به ذاكرته إلى الخلف إلى طفولته وصباه.

وأحيانا حينما يؤلمنا هجير الواقع نرجع إلى الماضى نلتمس فيه ظلا نلجأ إليه ونجد فيه بعض الراحة.

تذكر قريته القابعة فى أعماق الريف والخضرة تحيط بها من كل جانب وقنوات المياه تخترق حقولها فى انسياب رقيق.. وكم من مرات وقف على حافة قناة منها يتأمل مياهها الصافية تجرى بسرعة يلاحق بعضها بعضا فيحتك الحصى بعضه ببعض ليحدث صوتا خافتا كأغنية شجية قادمة من بعيد مثل أغنية/ وطنى حبيبى وطنى الأكبر.

ويتلقف الزرع دفقات المياه فى ظمأ وشوق فيرتوى وينتعش ويخضر ويثمر.

وربما انتزعه من وقفة صبى فى مثل سنه مر بالقرب منه فرآه.. ويسيران معا تحت أشجار الجميز والتوت.. وعلى وقع أقدامهما تنتفض العصافير مذعورة وتغادر أعشاشها إلى بعيد حتى ينصرف هذان الطفلان الصبيان.. وبالقرب من أقدامهما تصيح دجاجة أو تثب بطة أو يموء حيوان صغير أو يعوى كلب.

وكثيرا ما يلاحظ أن هذه الطيور والحيوانات تشعر بحركاته عن بعد.. حتى وهو يسير فى خفة لا يكاد يسمع فيها دقات قلبه.. وكأن هذه الطيور والحيوانات فى داخلها جهاز إشعار ينبهها إلى الخطر عن بعد كبير فتأخذ الحذر وتستعد للمفاجآت حبذا لو كان الإنسان يملك مثل هذا الجهاز فينبهه إلى العدو ليحتاط منه.

لو كان عنده هذا الجهاز لتنبه عن بعد إلى والدته قبل أن تأتى فتفاجئه

وهو يلعب فينال منها التأنيب.. أو والده وهو يضبطه يعبث فى أجهزة المنزل فيصيب منه علقة أو إخوته وهم يتلصصون عليه فينقضون على لعبته وينتزعونها منه قبل أن يتمكن من إخفائها تجرى بينهم معارك بالأيدى والأرجل لا تنفض حتى يأتى والده أو أخوه الكبير فيضربهم بعصاه بعد أن تترك أثرا على ظهر كل منهم.

لو وجد هذا الجهاز الذى أودعه الله فى تلك الطيور والحيوانات واستطاع أن يملكه لانتهت كل مشاكله مع أسرته أو حتى من أصحابه الذين يعرفون حبه للانفراد بنفسه أو وقوفه على قنوات المياه فيتسللون من خلفه يتلصصون عليه فلا يشعر إلا وهم أمامه يزعجونه أو يخيفونه ويقلدون بعض الأصوات التى يعلمون أنها تؤلمه وتضايقه.

كثيرا ما كان يشغل فكره هذا الجهاز الإلهى ويداعب خياله وعاطفته ويتخيل أحيانا أنه يملكه فيحس بخطوات أبيه وحركات أمه ودبيب أخوته وتسلل أصحابه فيعمل لكل منهم حسابا ويتخذ الطريقة المناسبة لمواجهتهم.. وحينئذ يشعر بالسعادة فيقفز على الأرض فى خطوات مرحة سريعة يريد أن يشعر بها الطيور والحيوانات..إنه مثلهم يشعر عن بعد كما يشعرون ولن يفاجأه أحد فى غفلة أو غباء.

وفجأة يتبخر هذا الحلم ويتبدد على صراخ صبى أو مواء قطة أو نهيق حمار.. فيعود من خياله إلى الواقع خائبا حزينا.. وتسلمه قدماه إلى الطريق المترب الذى يمتلئ بمختلف الحيوانات فيندمج فيها ويسير معها حتى يصل إلى منزله وهو لا ينسى أبدا الضرب الموجع الذى ناله من والده بعد تكرار عبثه بالأجهزة المنزلية.

فلم يترك جهاز راديو أو ساعة أو مكواة إلا عبث بها عبثا شنيعا.. فهو يفك أوصالها ويحاول معرفة العلاقات التى تربط بينها وكيف تعمل ولماذا تتعطل.

ومن الغريب أن تفكيره أحيانا يهديه مع صغر سنه إلى معرفة بعض العطب فيصلحه أو إلى الصواب فيفسده.. وبين ممارسة الخطأ والصواب يقضى جزءا كبيرا من فراغه لا يرجعه عن ذلك تأنيب أو ضرب.. حتى امتلأت حجرته بأشلاء الأجهزة القتيلة أو الجريحة على يديه.

ومضت فى عينيه بريق الذكريات الماضية.

لقد كان هذا العبث المنزلى بداية لمولد تفكيره العلمى.. كما كانت أحلامه فى امتلاك جهاز الإشعار عن بعد نقطة البدء فى اختراع هذا الجهاز العجيب.. الذى لو قدر له الكمال لأصبح معجزة فى دنيا المخترعات الحديثة وقلب الموازين العسكرية وغيّر النظريات التى تسير عليها.

واستيقظ فى أعماقه حنين جارف لوالده الذى رحل عنه كان يحبه حبا كبيرا رغم عصاه التى تؤلمه أحيانا.. ولا ينسى صوته القوى حينما ينادى عليه ويربت على كتفه ليوجه له النصيحة ويحثه على العمل الجاد المثمر.

فهو ريفى استمد من بيئته الشهامة والصبر والصلاح وعفة اليد واللسان.. وساعدته وظيفته فى المراكز الثقافية على القراءة والدرس فهو دائما مكب على كتاب يقرأه أو مجلة ثقافية يستوعبها.

أعجب به كثيرا حينما شاهده فى المركز المجاور لقريته وفى المناسبات الدينية والوطنية يمثل على المسرح أدوارا رائعة تبهر المشاهدين كما بهرته.

وبمرور الأيام صار والده ممثلا كبيرا ومخرجاً عبقريا شهد له الجميع بالذكاء والتفوق.

وانتقل إلى العاصمة التى شكلته مع أسرته تشكيلا جديدا يتناسب وعمل والده ومكانته الاجتماعية والفنية.. وجالس أصدقاء والده من الصحفيين والفنيين ونجوم المجتمع من الرجال والنساء وتقدم فى مراحل

التعليم حتى تخرج فى كلية الهندسة وأصبح أستاذا بها.. وباحثا يشار له بالبنان.

وفى هدوء رحل والده.. وما أشبه النهاية بالبداية.. فكما بدأت حياة والده هادئة وقورة انتهت كما بدأت فى هدوء وجلال.. وما بين البداية لم يكن غير حلم سريع جميل مر كالطيف العابر وتلاشت من مخيلته مع مرور الأيام ذكريات القرية وطيوفها الوردية وأصوات طيورها ودجاجتها وهى تقفز من حوله هاربة.. وقنوات المياه الفضية تنساب تحت قدميه ..

شيء واحد مازال عالقا فى ذهنه يربط الماضى بالحاضر ليثب بهما إلى المستقبل.. هو جهاز الاستشعار عن بعد فى الطيور والحيوانات.

حانت منه نظرة أخيرة إلى الجهاز القابع أمامه قبل أن يلم أوراقه وينصرف إلى المحاضرة التى سيلقيها على طلابه بعد وقت قصير.

وقطع عليه تفكيره رنين الهاتف الذى أعاده إلى الواقع من رحلة الماضى البعيد.

وعلى الجانب الآخر سمع صوت عميد الكلية يستدعيه على عجل.. وخرج من مكتبه سريعا إلى مقر العميد.. ولم يقف فى طريقه مع طلابه الذين اعتاد أن يحادثهم قبل بدء المحاضرة ويجيب على أسئلتهم السريعة فى المادة التى يدرسها أو فى شئون الحياة المختلفة.. فعلاقته بطلابه علاقة وثيقة يربط بينها تقارب السن وخفة الروح وحسن المعاملة.

ودلف إلى مكتب العميد سريعا لأن هذا الاستدعاء قبل موعد المحاضرة لابد وأن يكون لأمر خطير ومهم.

وحيا العميد ثم جلس أمامه مستفسرا منه عن سبب طلبه..

وقال له العميد وعلى وجهه بسمة:

إنى أهنئك.. لقد وافق مجلس الجامعة على سفرك إلى جامعة ميونخ بألمانيا.. وإن كنا نأسف لبعدك عنا وحرمان طلابك من غزارة علمك.

ولكن سعادتنا أكبر ففى أقسام الهندسة ستجد ما يحقق رغبتك ويشبع نهمك العلمى.. فالأجهزة التى نعجز أحيانا عن استيرادها متوفرة هناك وسوف تتيح لك فرصة إكمال بحثك وبحوثك الأخرى.. التى ترفع من شأنك وشأن وطنك.

وابتسم العميد ابتسامة عريضة وهو يكمل حديثه:

وعليك بالحذر واليقظة فلكل نجاح ثمنه.. وهذه البلاد رغم حضارتها

وتقدمها مليئة بالمتناقضات.. فالخير والشر يقفان فى صف واحد والحلو والمر متجاوران.. وعلى فطنتك وذكائك تتوقف مهمة التفريق بينهما.

وأخطر ما أنبهك إليه كثرة الجواسيس والعملاء فلا تستطيع أن تعرف من لك ومن عليك.. فليكن دائما سرك فى صدرك وبحوثك ملك لك لا يعرف أحد عنها شيئاً.

وزادت بسمة العميد وهو يقول له:

واحذر جيدا ذوات الشعر الذهبى والعيون الزرق.. إن لهن سحرا لا يقاوم.. قد يصرف الإنسان عن عمله أحيانا.. وإن كنت أشعر بالتزامك وتدينك وخطك المستقيم فى الحياة.

هذه خطوط عريضة أرى من واجبى كوالد وزميل أن أضعها بين يديك راجيا أن تتقبلها بحب كما تتقبلها من زميل يعزك ويحرص على مصلحتك.

واستأذن الدكتور «حسام» من العميد فى إلقاء محاضرته فى موعدها ليلتقى بطلابه ويودعهم.

وفى قاعة المحاضرات تحدث إلى طلابه وتبادل معهم الحوار والمناقشة ولم يغفل عن تلك النظرات من الطالبة «هناء» التى تتخذ دائما الصف الأول القريب منه.

إنها تتابعه بنظراتها فى حركاته وسكناته.. نظرات عميقة تحمل كثيرا من المعانى يفهمها ويتجاهلها..

ومنذ أيامه الأولى فى عامه الدراسى وعيونها الجميلة لا تفارقه.. تتعبد فى محرابه وتهيم فى دنياه.. إنها جميلة رقيقة ذكية.. تنم تصرفاتها عن سلوك حضارى .. وعن أسرة طيبة أحسنت تربيتها.

لقد صاغ خيالها صورة جميلة عنه عاشت فى إطارها.. وحينما يلتقى بها لقاءً عابرا أو مقصودا منها فى داخل الكلية أو حرم الجامعة يشعر

بارتباكها وتوترها ولا يتبين ماذا تريد أن تقول له وكم من مرة حاول أن يستدرجها للكلام فلا يسمع غير كلمات مبعثرة من هنا أو هناك يربطها خيط واهٍ يدركه عقله.

أما الحديث البليغ المعبر فترسله عيناها فى ومضات سريعة تحمل كل ما فى قلبها البكر من عاطفة وشجن.

ترى ما الذى يدفع فتاة جميلة فى عمر الزهور للتعلق بأستاذها الذى يكبرها ويصل ما بينه وبينها رباط العلم.

أما كان الأجدر بها أن تحب طالبا فى مثيلات سنها يداعب عواطفها ويعيش معها الواقع الذى يعيشه أمثالها.. دون أن تتعلق بأستاذ يذوب شبابه بين المعامل والأبحاث فلا تأخذ منه العاطفة إلا النذر اليسير.

هى قصة قديمة بطلاها المعلم وتلميذته.

وكثيرا ما توجد الدوافع والأسباب التى تبرز هذه الظاهرة وربما كان أهمها الحرمان الذى تعيشه بعض الطالبات والفهم الخاطئ للتربية وقسوة الأبوين وشخصية المعلم الذى تجد فيه الطالبة مهربا من واقعها الذى تعيشه.. وهو راض عن نفسه كل الرضى لأنه لم يستغل عاطفة تلميذته الحسناء.. بل وجهها التوجيه الحسن.. وأوقفها عند نقطة معينة لا تتجاوزها.

ونظر فى ساعته فوجد المحاضرة أوشكت على الانتهاء.. فوضع قلمه على المنضدة وسكت قليلا ثم قال:

لقد سعدت بكم يا طلابى فترة كبيرة فى هذا العام وما قبله ولم أقصر معكم فى العطاء ولم تنصرفوا عنى فى الاستجابة.. من طبيعة الحياة ألا تدوم على حال هذه آخر محاضرة لى معكم وسيحل مكانى زميل آخر ربما كان أجدر منى وأعظم لأننى بعد أيام قليلة سأرحل إلى ألمانيا منتدباً

إلى كلية الهندسة هناك متمنيا لكم التوفيق والنجاح.. وأستودعكم الله وإلى اللقاء.. وكان وقع الخبر مفاجئا وأليما على طلابه.

وحانت منه نظرة سريعة إلى تلميذته «هناء» فوجدها لم تتحرك من مكانها.. وقد ارتسمت على وجهها مشاعر متعددة.. فهم الكثير منها. وكان وقع الخبر ألجم لسانها وبدد عزيمتها وقتل أملا ينمو داخل عواطفها يوما بعد يوم فتحولت إلى عصفور مهيض الجناح تعوزه الحركة والنشاط.

ووقف الأستاذ على منصته وجلست الطالبة فى مقعدها.. لم يتحرك أحدهما من مكانه.. بينما أخذ بقية الطلاب يصافحون أستاذهم وينصرفون.

لم تذهب إليه كما ذهب زملاؤها.. بل تركت عينيها تحمل له الرسالة التى تريد أن تقولها.

ومع انصراف آخر الطلاب وجد أن الموقف يحتم عليه أن ينصرف ولا يبقى منفردا مع «هناء».

فاتجه نحوها مصافحا.. وأعطته يدها تاركة إياها بين أنامله لا تريد أن تستردها ولا تريد له مغادرة القاعة.

وانتزع يده فى رفق وخرج سريعا دون أن ينظر خلفه.. وفى قلبه أحاسيس متباينة لايريد أن يتبين حقيقتها.. فبعد قليل سيترك مصر إلى بلد بعيد لا يدرى كم سيبقى فيه.

ولا ينكر أن نظرات «هناء» ووداعتها جعلته مرة يفكر فى الزواج الذى أبعده عن تفكيره من قبل.

أما الآن فقد تبدلت الأمور ورسم القدر لكل منهما طريقا يسير فيه بعيدا عن طريق الآخر.. وغدا تجد من يملأ عليها حياتها ويسد الفراغ الذى يخلو بسفره.

إن عواطف الفتيات فى مثل هذا السن تكون جياشة ومتأرجحة ولا تستقر على حال وعليه أن يشغل نفسه بعمله الجديد ويصرف ذهنه عنها واسترجع فى ذاكرته اليوم الذى فكر أن يسافر فيه.

علم من صديق له أن جامعة ميونيخ فى حاجة إلى تخصصه.. فأرسل إليها وبعد فترة ليست بالقصيرة استدعته السفارة الألمانية بالقاهرة حيث التقى مع بعض مبعوثى الجامعة ودار بينه وبينهم حوار علم طويل أحس فى نهايته برضائهم عنه أن لم يكن إعجابهم به واستجابت الجامعة فى مصر لإعادته لألمانيا لما بين الدولتين من علاقات قوية ومتينة.

ولم يفكر هو من قبل فى مغادرة مصر والبعد عنها فله من الذكريات الغالية ما يشده إلى الأرض العزيزة التى نبت منها.. ولكن الجهاز الذى يخترعه فى حاجة إلى إمكانات لا تتوفر فى مصر.. إذا فليبحث عن مكان آخر يتيح له تحقيق أمله.. وبهذا يكون قد أدى خدمة لوطنه لا تعد لها خدمة أخرى.. وانتهى حديثه مع نفسه عند الباب الخارجى للجامعة فركب سيارته وعاد إلى منزله.

وراح يعد العدة للسفر وما يتطلبه من إجراءات.

وفى غضون أيام قليلة أكمل كل شىء.. وحدد موعد السفر.. وفى اليوم السابق لسفره زار مراتع صباه ومرابع لهوه والأماكن العزيزة الغالية على قلبه.

وجلس فى سيارته خارج الجامعة وألقى نظرة سريعة على «هناء» عند مغادرتها الجامعة.. ثم ذهب إلى المطار.

حلم يتحقق

وصل الدكتور «حسام» إلى عمله الجديد وباشره فى همة ونشاط. محاولا أن يكتشف الجديد الذى لم يصل إليه من قبل والذى يعينه فى بحثه وفى إتمام مشروعه.

حقا أن مناخ أوربا ليس غريبا عليه.. فقد نال منها درجة الدكتوراه ولكن التكنولوجيا الألمانية المتقدمة تبدو جديدة عليه وهو فى حاجة إلى فهم أسرارها ومعرفة خباياها.

وأصبح وقته موزعا بين التدريس والبحث والقراءة والتجارب.. وهدفه الأكبر إتمام مشروعه الذى بدأه فى مصر.. ولم يستطع طويلا أن يخفى بحوثه عن زملائه فى الجامعة فهم يشاهدونه يبحّث ويجرب ويستنتج.. وفهموا أن وراءه سرا علمياً يحاول الوصول إليه وإتمامه ولكنهم لم يعرفوا طبيعته وإن فهموا أنه شئ مهم وخطير نظرا لما عرف عن الدكتور «حسام» من ذكاء وسعة أفق ولم يلحظ شيئا من حوله يلفت النظر.. فحياته تسير على وتيرة منتظمة لا تتغير ولا تتبدل.

وفى ميونيخ عرف البعض من المصريين والعرب والأفارقة الذين يدرسون هناك أو يعملون.. واستطاعوا أن يزيلوا عنه الوحشة والإحساس بالغربة.

وفى العطلات الأسبوعية يلتقى بهم ويتبادلون أطراف الحديث فى شتى الأمور التى تهم العرب والأفارقة وعن آمالهم العريضة فى مستقبل مشرق لبلادهم..

وكانوا بالنسبة له مدرسة كبرى تعلم فيها ما خفى عليه فمعظمهم أقدم منه وأكثر خبرة وتجربة.. ومرت به الأيام يدفع بعضها بعضا عمله الدائب يمتص معظم وقته.

وفى مساء يوم دعاه زميل فى الجامعة ليشربا معا كوبين من الشاى فى

إحدى مقاهى ميونخ المشهورة وحتى يزيلا رتابة العمل .. وأعجبه المكان كثيرا.. فهو يطل على ميدان واسع تتشابك فيه الطرق وتتفرع إلى معظم أجزاء المدينة.. وبالقرب منه بعض المؤسسات الاقتصادية الكبيرة مما جعله ملتقى لكثير من الأجناس ورجال الأعمال.

ويستطيع الجالس أن يتعرف على بعض القوميات من خلال اجتماعهم سويا ومن أحاديثهم وأشكالهم.. وبسرعة نستطيع أن نتعرف على العرب والأفارقة والروس واليابانيين وغيرهم.

واعتاد الدكتور «حسام» على الذهاب إلى المقهى بين الحين والآخر يحتسى كوبا من الشاى ويجلس قليلا ثم يعود إلى منزله الذى لم يكن يبعد كثيرا عنه.

كان يجلس منفردا ينظر إلى الميدان معجبا بدقة المرور والتزام الناس بالنظام والقانون من تلقاء أنفسهم فلا اختناق أو اضطراب أو تزاحم وقل أن يجد جنديا من رجال المرور.. فكل فرد هنا رجل مرور فى ذاته.. والنظام أصبح سلوكا لا يستطيع أحد أن يتجاوزه.. وتمنى لو صارت بلادنا فى يوم ما شبيهة بما يراه الآن.. فالنظام فى الشارع من أعظم سمات الحضارة فى العصر الحديث.

ولاحظ فى جلسته المنفردة.. رجلا منفردا مثله يجلس قريبا منه وخيل إليه أنه رآه مرة أو أكثر ولم يستطع تحديد المكان الذى شاهده فيه.. وحول بصره عنه إلى تأملاته وخواطره.. وأرشده زملاؤه إلى مسجد صغير بناه المسلمون المغتربون هنا وعينوا له إماما من بينهم يخطب لهم الجمعة.. وفى حفلات الزواج والمناسبات الدينية يلتقون فيه.

وحضر أول مرة له فى ذكرى مولد الرسول سيدنا محمد ﷺ وسعد كثيرا وهو يشاهد المسلمين وأطفالهم فى ملابسهم الزاهية وأحضروا معهم أنواعا مختلفة من الحلوى تمثل صناعة بلادهم وجنسياتهم المتعددة .. إنهم يتبادلون التهنئة ويلتقون عند هدف واحد هو دينهم الإسلامى.

ويعتبر يوم الجمعة عيداً للمسلمين فى هذا المكان.. فقل أن يغيب أحد من المسلمين عند الصلاة.. وبعدها يلتقون جماعات يتحدثون ويتعارفون ويعين بعضهم بعضاً ما أمكن ذلك ثم ينصرفون فى هدوء.. ويفتح المسجد فى أوقات الصلاة المعتادة ويشرف على فتحه وإغلاقه ونظافته اثنان من الباكستانيين يتبادلان العمل فيه ورجل تركى آخر.

وفى كل أسبوع تجمع حصيلة من التبرعات لا بأس بها تودع عند مجلس الإدارة المنتخب بصيانة المسجد والمحافظة عليه.. وسداد ما عليه من كهرباء وخلافه.

وفى إحدى صلوات الجمعة شاهد بالقرب منه رجل المقهى الذى رآه من قبل ولم يتذكر أين رآه.. إنه أحد المسلمين الذين يصلون هنا. وصافحه بعد الصلاة وتحدث معه قليلا.. إنه يتكلم عربية متعثرة تعين على التفاهم.

وفى مساء هذا اليوم ذهب إلى المقهى بعد طول غيبة عنه ودهش حينما شاهد الرجل يجلس منفردا فى مكانه المعتاد وكأنه اتخذ المقهى مقرا ليليا له.

وحياه بإيماءة من رأسه فهبّ الرجل من مقعده مبتسما.. واتجه إليه مصافحا فدعاه الدكتور «حسام» للجلوس معه..

ودار بينهما حديث أقله بالعربية وأكثره بالإنجليزية.

وعرف منه أنه روسى مسلم من أوزبكستان واسمه «سليم مالينكوف» ويعمل هنا فى إحدى المؤسسات الإليكترونية الكبرى.. وساهم مساهمة كبيرة مع غيره من المسلمين فى إنشاء مسجد ميونيخ والمحافظة عليه.. وهو غير متزوج وكذلك أخته «ليليان» التى تعمل فى شركة للدعاية.. ولا شك أنه شاهدها فى المسجد فى إحدى المناسبات الدينية.. فهى حريصة على حضور تلك المناسبات ولا تغيب عنها إلا لعذر قاهر .. وهذه اللقاءات

تذكرنا بوطننا فى أوزباكستان وتمسكنا بعقيدتنا الإسلامية التى حرصنا على أدائها فى السر والعلن رغم عنف الشيوعية ومحاربتها للأديان.. ولم تستطع أن تطفئ فينا جذوة الإسلام فظلت مشتعلة بين قلوبنا تظهرها حينا وتخفيها فى أكثر الأحيان وكثير منا هاجر خارج الوطن حتى يستطيع أن يمارس شعائره الدينية فى حرية ودون قيود.

كان حديث الرجل سهلا بسيطا ينساب فى تلقائية ودون كلفة وكأنهما متعارفان منذ زمن بعيد وقد جمعت بينهما العقيدة القوية فأفضى الرجل بما عنده للدكتور «حسام».. وساعدته روحه المرحة وأسلوبه السلس فى أن يحتل جانبا كبيرا من قلب الدكتور «حسام» الذى حدثه عن نفسه ووطنه وعمله دون أن يتجاوز هذا.

وأغلق قلبه على سر الجهاز الذى يحاول أن يكمله وتحمل متاعب السفر من أجله.. ويجب أن يظل هذا السر دفينا حتى ينجح فيه.

وتكررت اللقاءات بينهما.. وتسلل الرجل إلى قلب الدكتور «حسام» فهو يلتقى به فى المسجد والمقهى ويعرف أن المؤسسة التى يعمل بها تملك من الأجهزة ما هو فى حاجة إليها لإجراء تجاربه وهى أجهزة دقيقة من الصعب الحصول عليها وهو لا يريد أن يطلبها الآن بطريق مباشر حتى لا يثير حوله الظنون.

وكلما سأل الدكتور «حسام» «مالينكوف» عن بعض الأجهزة يجيبه فى إسهاب وتفصيل مستعدا لإحضار ما يريده منها.. مع أنه يعلم أن تلك الأجهزة لا تخرج إلا بحساب دقيق وبإشراف ورقابة صارمة.. ولكنه حمد الله أن هيأ له هذا الروسى المسلم الطيب ليعينه فى مهمته الصعبة التى يريد منها رفعة شأن وطنه وأمته.. وفى إحدى المناسبات الدينية فى المسجد عرف أخته «ليليان» .. أو «ليلى» كما سمت نفسها..

فتاة بسيطة كأخيها فيها جمال هادئ يجمع بين الشرق والغرب مجاملة ودودة تستطيع أن تسرك بأسلوبها الرقيق وابتسامتها الجذابة.

ودعا «مالينكوف» الدكتور «حسام» لزيارة منزله فسوف يحتفل مع شقيقته اليوم بعيد ميلادها الذى يقتصر دائما عليهما وسيكون الدكتور «حسام» ثالثهما فى هذا العام.. لأنه من الصعب أن يجد الإنسان صديقا نبيلا مثله.

ولبى الدكتور «حسام» الدعوة سعيدا واشترى هدية صغيرة وذهب إلى منزلهما فى الموعد المحدد.

واستقبلاه بترحاب كبير.. وجلست «ليلى» بجواره فى جمالها الهادئ ترتدى ثوبا معتدلا لا يتنافى مع الذوق الشرقى المسلم.

والشقة صغيرة تتكون من حجرتين وصالة وتنم عن ذوق ألمانى رفيع.. ففيها كل ما يحتاجه البيت العصرى.

وتركا للدكتور «حسام» أن يختار ما يعجبه من طعام وشراب فلكل إنسان ذوقه الخاص، فعصير البرتقال بجوار الفودكا والكونياك ولحم البقر مع لحم الخنزير وموسيقى الشرق الهادئة مع دقات الروك اندرول الصاخبة.

شقة صغيرة تجمع المتناقضات.. ويسكنها شقيقان فى قلبيهما دين وفى عقليهما حضارة وثقافة وعلم واسع.

وحدثته «ليلى» كثيرا عن كل شيء وتمنت لو زارت مصر فهى سمعت بها وقرأت عنها ولم تراها.. إن سحر الشرق يستهويها ويشد انتباهها..

كان حديثها ناعما جذابا فيه إغراء مغلف فلم يستطع الدين أن يدارى غرائز الأنوثة .. فهما فى مجتمع غربى فيه انطلاق وتحرر.. ومفهوم الفضيلة يختلف معناه هنا عن مجتمعنا الشرقى.

وترك «مالينكوف» الحديث لشقيقته وشغل هو لفترات فى بعض أموره الخاصة.

وظل الدكتور «حسام» ملتزما بقيمه وأسراره.

أخذ منهم وأعطاهم بقدر ولم يترك لنفسه العنان فى الحديث معهم أو لعواطفه أن تتجاوز الحدود التى رسمها.

وبخبرته الهندسية لاحظ بعض الأجهزة المتطورة فى الشقة الصغيرة وربما يكون السبب هو عمل «مالينكوف» فى مجال الإلكترونيات وعمل «ليلى» فى مجال الإعلام.

وأكثر «مالينكوف» فى الحديث عن مصر وأبدى اهتماما كبيرا بها.. إنه سمع عن الأهرامات والأزهر والآثار الفرعونية القديمة.. عرف عن مصر حضارتها القديمة الفرعونية والإسلامية.. ولم يعرف مصر الحديثة بعلمها وقوتها.. وهل استطاعت أن تقف على قدميها بعد هزيمتها من إسرائيل.

ولماذا لا تحاول بناء قوة ضاربة تصمد بها أمام أعدائها.

وإذا كانت أمريكا وبعض دول الغرب تمد إسرائيل بالأسلحة والعتاد فلن تعدم مصر أن تجد من دول الشرق أو الغرب من يقف بجوارها ويساعدها.

وكيف تهزم مصر وفيها علماء باحثون أمثال الدكتور «حسام».. إنك لا تقل فى عبقريتك عن كبار العلماء فى ألمانيا وغيرها.. وربما لم تجد من مواطنيك يا دكتور من يمد لك يد المساعدة ويتيح لك حرية البحث..

إنك ثروة علمية تعتز بك أعظم الدول.. وأعتقد أن ألمانيا ستتمسك بك وتستبقيك عندها..

ومس هذا الحديث وترا حساسا فى قلب الدكتور «حسام».. فلولا حقد بعض زملائه وإهمال المسئولين لمشروعاته.. وضيق ذات يده لما اضطر للحضور إلى هنا.

لم يشعر الدكتور «حسام» بالملل بعد الاتساع المحدود لدائرة معارفه التى احتطها لنفسه..

فطيلة يومه فى الكلية ويختلى لأبحاثه فى الماء وعندما يشعر بضيق يذهب إلى المقهى.. وصباح يوم الجمعة وحتى الظهر يقضيه فى المسجد مع مسلمى المدينة.

وبين الحين والآخر يذهب لزيارة «مالينكوف» بناء على دعوات ملحة منه.. ويمضى معه وقتا.. يطول أو يقصر حسب موضوع الحديث الذى يتشعب إلى أمور كثيرة سياسية واجتماعية ودينية.. ومعظمها يتركز حول مصر وما فيها من إنجازات وما ينتظر لها من مستقبل ويبدى له الاستعداد الكامل لإمداده بالأجهزة النادرة التى يريدها بعد أن يحدد له طبيعة بحثه.. فهو على خبرة ودراية بالأجهزة الهندسية المعقدة..

ومرة كانا يتحدثان عن مصر فقال «مالينكوف»:

إن مصر تحمل هموم العالم العربى.. ولو نظرت إلى نفسها فقط لأصبحت من الدول العظمى.. ففيها العلماء والمواد الخام والماء والأرض الخصبة والثروة البشرية.. وكلها مقومات الدولة القوية..

إن ارتباطها بالعرب أضعفها فهم متناحرون مختلفون.. بعضهم أعمته ثروة النفط فعاش فى ترف جاهل.. والآخرون أضلهم الفقر فعاشوا فى غرور كاذب.. وحقد أسود..

ولو كانت مصر حكيمة لأغلقت على نفسها الباب دون العرب واتصلت بالحضارة الغربية كما فعلت تركيا وغيرها..

إن مشكلة روسيا أنها بسطت جناحيها على دويلات كثيرة.. وادعت حمايتها مع كره هذه الدويلات لها.. وسيأتى يوم لا تستطيع فيه روسيا أن تدافع عن نفسها أو عن تلك الدول..

وكثيرا ما يخرج «مالينكوف» فتجالسه «ليليان» أو «الليلى» .. تناقشه فى بساطة وانطلاق شأن أخيها..

ويحس فيها القرب والبعد.. العطاء والمنع .. تحدثه فى إغراء وتراخ.. كأنها تنتظر القيل وما بعد القيل.. وتعود إلى الجدال والاعتدال كأستاذة تدير ندوة أو تلقى محاضرة..

وحار كثيرا فى شخصيتها.. فهو فى الواقع لا يريد صدا لأنه لم يطلبه ولا عطاء لأنه لا يتمناه.. واستطاع أن يكون فى ذهنه فكرة متكاملة عنها..

إنها شخصية قوية ذات خبرة وتجربة عالية.. تعرف متى تشعل الضوء دون أن يبهرها.. وتعرف متى تطفئه.. من غير أن تضل الطريق أو تتعثر فيه..

إنها تريد أن تشده إليها.. على مهل حتى يفقد المقاومة ويلقى الزمام.. إنها تعطيه الإغراء جرعة بعد جرعة حتى يتشبع منه تماما..

وهو يسأل نفسه.. ماذا تريد منه؟ ولم كل هذا؟

فالعلاقة بين الرجل والمرأة فى هذا المجتمع قريبة.. سهلة.. وميسورة.. ولا تحتاج إلى كل هذا التخطيط والتدبير..

ربما يكون لها هدف بعيد لم يستطع الوصول إليه..

ويدخن «مالينكوف» سيجارا ضخما وعلى سحب دخانه تنقضى السهرة..

ويودعه «ماليتكوف» إلى الباب والسيجار لا يفارق فمه.. حتى وهو فى داخل الشقة.. لا يترك السيجار.. كأنه يتحسس به الطريق، ورآه مرات كثيرة يتجول حول المسجد بسيجاره فلا ينصرف عنه إلا عند دخوله المسجد للصلاة..

ويبدو أن فهمه بالتدخين متمكن منه إلى حد كبير..

ونصحه الدكتور بالإقلال من التدخين فهو ضار بالصحة ويسبب أمراضا كثيرة، فيجيبه ضاحكا بأنه يستطيع الاستغناء عن الأكل ولا يستطيع الإقلاع عن التدخين..

وشعر مرة بآلام فى أسنانه حتى أعجزته عن شرب الماء المثلج فى المقهى الذى يجلس فيه مع «مالينكوف».. ولاحظ عليه ذلك..

فأشار عليه بالذهاب إلى طبيب الإنسان قبل أن يشتد المرض.. ووجهه إلى طبيب معروف يزوره مع شقيقته كلما شعرا بآلام فى أسنانهما وعند الطبيب ممرضة مصرية لطيفة ربما تفهمه أكثر من غيرها.. وتواعدا على اللقاء فى اليوم التالى للذهاب إلى الطبيب..

وعاد إلى شقيقته والآلام تشتد عليه.. وأدار مفتاح الراديو على إذاعة القاهرة ليسرى عن نفسه ويسمع بعض أخبار بلده..

إنه يحس إلى مصر حنينا غريبا كأنه بعيدا عنها منذ سنوات حتى الأشياء التى كان يضيق بها أصبح مشتاقا إليها ..

حتى لضجيج الشوارع وتزاحم الناس وصياح الباعة بشدة.. يحتل جانبا كبيرا من قلبه.. لطالما هرب من هذه الأشياء ونفر منها.. والآن يريد أن ينغمس فيها.. ويغرق فى تيارها..

وسمع فى نشرة الأخبار المصرية.. هجوم الطائرات الإسرائيلية على المدارس والمستشفيات وأماكن التجمعات الشعبية..

فازداد ألما على ألم وتمنى لو استطاع أن يصنع شيئا لبلده ينقذها من هذا العدوان الغاشم..

وسمع من المذياع اشتداد حرب الاستنزاف، وأن القوات المصرية توجه ضربات موجعة خاطفة للعدو كما تقوم بهجمات سريعة فى الضفة الشرقية للقناة حتى لا تشعره بالراحة أو الاطمئنان..

وأطال النظر إلى الجهاز والبحوث التى يجريها عليه.. وحاجته إلى بعض الأجهزة الدقيقة التى يبحث عنها فى سرية تامة..

وصمم على امتلاكها مهما كان الثمن فبدونها لن يتم عمل هذا الجهاز على الوجه الأكمل..

والحصول على هذه الأجهزة صعب.. ولكن صديقه «ماليتكوف» أبدى استعدادا طيبا لمساعدته.. فلم لا يستعين به والرجل لم يبخل بتقديم المساعدة دون أن ينتظر جزاء أو شكرا.. وهو على ما يعلم طيب ودود متدين..

إنه وصل إلى المرحلة الأخيرة من بحثه ولا يجب أن يعوقه عائق عن إتمامه مهما كانت التضحيات والمتاعب..

وأغلق المذياع وأسلم نفسه لنوم متقطع تتخلله أفكار متضاربة مشوشة..

وفي مساء اليوم التالى التقى بصديقه «مالينكوف» وانصرفا معا إلى عيادة الطبيب..

وأعطاه فكرة مجملة عنه فاسمه «هلمان مروخ» وأجره معقول.. إذا فليس بغيره من أطباء الأسنان الذين يغالون فى أجورهم ويربطون المريض بهم لفترة طويلة..

وتساعده ممرضة مصرية.. تجيد الإنجليزية والألمانية.. وهى ذكية لماحة.. ولا شك أنها ستساعده حينما تعلم أنه مصرى مثلها.. وصلا إلى البناية التى يوجد بها الطبيب.. فأشار له على شقة الطبيب.. ثم استأذن لبعض الأمور وانصرف..

وصعد إلى عيادة الطبيب فى الدور الثانى.. ودلف إلى الداخل بعد أن قرأ اسم الطبيب فى يفطة معلقة على الباب.

والعيادة متوسطة المساحة نظيفة إلى أبعد حدود النظافة بها مقاعد مرصوصة فى نظام دقيق وبعض المناضد الصغيرة.. تعلوها مجلات.. وصحف.. ألمانية وغيرها..

وتغطى الجدران أرفف ودواليب بعضها صغير.. وبعضها كبير يصل إلى السقف.. وقد ازدحمت بالأجهزة والكتب المختلفة والإضاءة مريحة لا تؤذى العين..

والمكان ممتلئ بالمرضى مما يوحى بشهرة الطبيب ومكانته..

واستقبله خادم نظيف الملابس وأجلسه فى المكان المحدد له..

وقال له فى إنجليزية ضعيفة.. إنه آخر زائر اليوم فالدكتور يحدد العدد الذى يكشف عليه ويعالجه ولا يتجاوزه وهو آخر رقم فى هذا اليوم.. وقدم له مجلة ثم تركه وانصرف..

وجاءت بعده ممرضة تدل ملامحها على أنها بولندية الأصل..

فأعطته رقما وقدمت له ورقة يكتب فيها بعض البيانات .. والألم الذى يشكو منه.. وأخذتها منه بعد كتابتها وأرسلتها للطبيب..

وشغل الدكتور «حسام» بمجلة علمية إنجليزية راح يتصفح أوراقها فى اهتمام.. وبين الحين والآخر ينظر حوله ليتأكد متى يحل الدور عليه.

وأثار اهتمامه منظر الدواليب والأرفف المرصوصة بنظام هندسى جميل ونادرا ما يجد فى ردهات الأطباء مثل هذه الدواليب.. فهى غالبا تكون داخل حجرة الطبيب لا خارجها..

ولم يشغله هذا الأمر كثيرا، فلكل طبيب له نظامه الذى يرتضيه لنفسه والمرضى الذين رآهم عند دخوله.. تدل ملامحهم على جنسيات مختلفة ولم يلمح فيهم مصريا واحدا.. فهم قلة تعد على الأصابع فى تلك المدينة.

وجاء دوره بعد طول انتظار لم يشعر فيه بالملل بقدر ما شعر بالألم الذى يعاوده بين وقت وآخر من أسنانه..

ودخل حجرة الطبيب فاستقبله ببسمة مشجعة وأجلسه أمامه وسأله عما يؤلمه.. ودوّن كل ما سرده عليه ولم يترك صغيرة أو كبيرة حول مرضه إلا سأله عنه..

والطبيب رجل تجاوز الخمسين من عمره تنبئ ملامحه على أنه ليس ألمانى الأصل ولهجته هادئة مريحة تجعلك تقبل عليه..

وحجرته صغيرة جميلة يكسوها اللون الأبيض.. وفى طرف منها سرير صغير ينام عليه المريض عند اللزوم..

وكرسى متحرك أمامه.. وبعض الأجهزة الطبية التى يحتاجها طبيب الأسنان..

وفى الحجرة باب صغير يؤدى إلى حجرة داخلية بها معمل لصنع الأسنان الصناعية.. ومن خلال الباب الموارب لمح الدكتور «حسام» ظهر ممرضة تعد شيئا على منضدة صغيرة أمامها..

وتساءل بينه وبين نفسه.. أنها الممرضة المصرية التى حدثه عنها صديقه «مالينكوف» ..

وقبل أن يرد على تساءله فتح الباب وظهرت الممرضة بردائها الأبيض تحمل فى يدها شيئا ما..

وهبَ من فوق كرسيه فجأة محملقا بعينيه فى الممرضة.. والدهشة تعلو وجهه وتكسو كل ذرة فيه.. إنها «هناء» تلميذته فى كلية الهندسة والتى تركها منذ فترة ولا يعلم عنها شيئا.. وداوت الأيام جرحا صغيرا فى قلبه.. أحدثتها نظراتها الساحرة المستكينة.. ومن يدرى ـربما كانت هذه الجراح ستتسع لو بقى فترة أكبر فى كلية الهندسة..

وذهلت الفتاة من حركته وكذلك الطبيب.. وأحست بشىء من الحرج تجاه موقفه الغريب..

وحتى تدارى اضطرابها اتجهت نحوه وسألته بالعربية عما يريد فمن بياناته وشكله تأكدت من مصريته..

ورد عليها بشىء من الخجل ثم استدرك قائلا:

إنها تشبه قريبة له فى مصر تمام الشبه ولولا فروق بسيطة فى الشعر والصوت وبعض ملامح الوجه.. لتأكد أنها هى..

وعاد إلى الطبيب وذهنه متعلق بالممرضة التى تشبه «هناء» إلى حد كبير.. هل يمكن أن يتشابه اثنان إلى هذا الحد.. لعلها قريبتها من يدرى..

وانتهى وقته مع الطبيب الذى نصحه بزيارته مرتين كل أسبوع حتى تشفى أسنانه تماما..

وجلس الدكتور «حسام» فى الصالة مدعيا حاجته إلى بعض الراحة وهدفه انتظار الممرضة..

وخرج الطبيب والخادم يحمل له حقيبته.. حتى باب سيارته ثم عاد ليكمل مع الممرضتين إغلاق العيادة وتنظيم ما فيها..

وغادر الدكتور «حسام» حيثما بدءوا فى إغلاقها وانتظر على طوار الشارع حتى نزلت الممرضه.. فابتسم لها وحيّاها واقترب منها فهى تسير منفردة.

ولم تجد غضاضة فى الحديث معه والسير بجانبه فى هذا المجتمع المتحضر الذى لا يعرف قيودا فى علاقة المرأة بالرجل.. وقربها منه أنه مصرى وربما يريد الحديث معها فى شىء ما..

وقال لها فى شىء من التردد والخجل:

أرجو ألا أكون قد سببت لك شيئا من الحرج.. وصدقينى أن التشابه بينك وبين واحدة أعرفها اسمها «هناء» يكاد يكون تماما حتى ظننت لأول وهلة أنك هى.. وأرجو ألا تسيئ بى الظن..

ولا شك أنك عرفت اسمى وعملى من خلال البطاقة التى قدمتها للطبيب.. وأتيت هنا منذ شهور وأسكن فى شارع بسمارك رقم ٥٠ إن التشابه فى الشكل كثير ما يوقع الناس فى مشاكل وأخطاء وأزاحت الممرضة خصلات من شعرها الأسود الناعم المسترسل على جبينها وابتسمت ابتسامة ساحرة.. ونظرت إليه بعينيها الواسعتين الجميلتين.. وقالت له فى صوت ناعم:

لم يضايقنى شىء أبدا.. فهذه أمور قد اعتدت عليها.. وطبيعة عملى تحتم علىّ الصبر وسعة الصدر.. ويسعدنى أن ألتقى بمصرى فهو يذكرنى بوطنى وأهلى.

واسمى «شيرين القلينى».. أدرس التمريض العالى فى الجامعة وأعمل هنا فى المساء.. لأستعين براتبى لإتمام تعليمى.. ولى أخ اسمه «أحمد» يدرس الفندقة والسياحة.. ويعمل ليلا فى أحد مطاعم المدينة.. ونستأجر حجرة صغيرة.. أقيم فيها مع أخى.. وليس لنا اهتمامات غير عملنا.

ووصلا إلى مفترق الطرق حيث يذهب كل منهما إلى الطريق الذى يؤدى إلى منزله.

وتمنيا لو طال المسير.. فتحدثه عن نفسها.. ويحدثها عن نفسه..

مصارحة وتلاق

عاد الدكتور «حسام» إلى منزله.. وصورة «شيرين» تملأ خياله ووجدانه.. إنها أعادت إليه ماضى «هناء» قويا فتيا.. واستيقظت فى نفسه مشاعر متباينة اختلط فيها الماضى بالحاضر.. والعقل بالقلب والدين بالدنيا..

ولم يتخلف عن مواعيد العلاج فى عيادة الطبيب.. يذهب مرتين كل أسبوع ويحرص على أن يكون آخر المرضى.. ويخرج مع «شيرين» حتى مفترق الطريق.. يتحدثان فى أمور كثيرة كمصريين غريبين ثم ينصرف كل إلى شارعه.. وما أشبه اليوم بالأمس.. فهو يحرص على موعد العيادة هنا كحرصه على موعد المحاضرة فى كلية الهندسة بمصر.. إلا أنه صار أكثر التصاقا بـ«شيرين» من «هناء» فالثانية يعاملها كطالبة يزودها العلم.. والأولى يصاحبها كصديقة يعطيها الود..

وكلما تذكر أن أسنانه بدأت تميل للشفاء ساوره الجزع.. لأنه كيف يلتقى بـ «شيرين» بعد ذلك أو سيلتقى بها قليلا..

وأحس أنها تبادله نفس المشاعر.. فتنهى عمل العيادة سريعا وتنزل على عجل وتسير معه فى شوارع أكثر طولا قبل أن يصلا إلى نقطة الفراق..

وذات مرة قالت له فى نبرات سريعة: إن والدها كان رجلا ميسورا أرسلها مع أخيها لإتمام تعليمهما وبعد عام توفى.. ولا تعرف كيف تبددت ثروته وضاق بهما العيش.. ولم يكن أمامهما إلا أن يعودا أو يعملا لإتمام تعليمهما.. إنهما يكافحان.. وقد أوشكا على الوصول إلى نهاية المرحلة بعدها يعودان إلى مصر.. وأرادت أن تنطق بكلمات أخرى يبدو أنها امتصتها سريعا وماتت على شفتيها..

ولاحظ الدكتور «حسام» ذلك فنظر إليها ولم يشأ أن يتطفل عليها أو ينتزع منها حديثا لا تريد التعبير عنه..

واستطردت تقول:

إنها تعمل ثلاثة أيام من كل أسبوع فى العيادة وتتفرغ لمراجعة دروسها فى الأيام الباقية..

وعاودتها الابتسامة وهى تقول:

ونظمت أمورى مع زملائى لتكون أيام عملى فى مواعيد حضورك.. وبعد شفائك ربما تتغير الأمور وازدادت ابتسامتها اتساعا وهى تقول: هل يسعدك وجودى؟

وفى دفعة سريعة قال: نعم لأنك.. ثم خفض رأسه إلى الأرض كأنه أفشى سرا يحرص على كتمانه..

وسكتت «شيرين» وبغريزتها الأنثوية فهمت بوضوح ما فى قلب الدكتور ما قاله.. أو ما لا يريد أن يقوله..

عاش الدكتور «حسام» أياما جميلة.. تستوعب الكلية سحابة نهاره، وبحوثه تتقدم يوما بعد يوم والجهاز الذى يعلق عليه الآمال الكبيرة قارب من نهايته وسيوفر له الأشياء الناقصة من صديقه «مالينكوف» أو غيره.. وكأن نفسه السعيدة أمدته بطاقة هائلة من القوة اقتحم بها كل صعب..

وأمسياته ما بين بحوث ودراسة ومقابلة «شيرين» فى عيادة الطبيب وجلسة خاطفة فى المقهى.. وزيارة لمنزل صديقه «مالينكوف» وشقيقته «ليلى»..

وبينه وبين نفسه يقارن بين «ليلى» و«شيرين»..

ليليان: أوربية تتمثل فيها كل الأساليب الأوربية من حرية وانطلاق مع مسحة خفيفة من الدين.. ادعاء وتقليدا.. أو حقيقة باهتة.. تستثير فى فن ومهارة غريزة الرجولة فيه وعلى استعداد للسير معه إلى نهاية الطريق فهذه طبيعة الغربيين.

تناقشه فى حرية وتبدى رأيها فى غير حرج وإن كان هذا الرأى يحرج داخله الشرقى..

أما «شيرين» : فهى مصرية مسلمة أخذت من الحضارة الأوربية قشورها ومظاهرها الخفيفة، وفى أعماقها يستيقظ الوعى المصرى بكل ما فيه من تراث وتقدم.. تثور فيها غريزة الإباء والنفور حيثما تشعر بأدنى مساس بهما إنها تدغدغ عواطفه فى هدوء ونعومة بعيدا عن غرائزه..

هو مع «شيرين» ملاك ومع «ليليان» رجل وشتان بين الاثنين..

ويوم الجمعة يقضى صباحه فى مسجد المدينة حتى صلاة الظهر فيتحدث مع المسلمين ويعرف منهم أخبار العالم الإسلامى.. ويستمتع بندوة دينية أو يبتهج بحفلة زفاف أو مناسبة دينية أو قومية ويعود راضيا عن نفسه كل الرضى.. وكان دائما يستمع إلى إذاعة مصر ويتأثر عندما يسمع أغنية «عبد الحليم حافظ» «بالأحضان يا بلادى يا حلوة.. يا ما لفيت سواح متغرب بالأحضان بالأحضان يا بلادى يا حلوة .. بالأحضان» كان يبكى بحرقة ويهتز وجدانه بهذه الأغنية.

وأوشكت أيام علاجه عند الطبيب على الانتهاء بعد أن أطالها مرات ومرات واقترب العام الدراسى من نهايته.. وفكر فى وضع اللمسات الأخيرة لجهازه..

وإذا تعذر عليه إحضار الأجهزة الصغيرة التى يريدها فيطلبها من «مالينكوف» .. إنه فيما يبدو مخلص أمين..

وفى يوم الجمعة التالى التقى به بعد خروجه من المسجد.. فتحدثا كثيرا فى الأمور التى اعتادا الحديث فيها..

وقدم له الدكتور «حسام» ورقة صغيرة بها أسماء بعض الأجهزة الصغيرة الدقيقة التى من الصعب الحصول عليها من المحلات العامة.. وقرأها «مالينكوف» بإمعان ودقة وقال له:

إنها أجهزة غالية الثمن ألا ينفع البديل عنها لإتمام مشروعك...؟.

فقال الدكتور «حسام» بسرعة: لا ولن يجدى سواها.. وقد جربت البدائل فلم تنفع..

وقال «مالينكوف»: إنها أجهزة ذات تكنولوجيا عالية وتستعمل فى الطائرات النفاثة أو الغواصات المتقدمة.. ولا تبيعها الشركات أو المؤسسات، وسأحاول العثور عليها من أجل خاطرك..

ولكن ما هى طبيعة هذا البحث التى يحتاج إلى تلك الأجهزة..

وراح يحاصره بالأسئلة الكثيرة.. فما دام سيساعده فى إتمام المشروع فهو يريد أن يعرف شيئا عن هذا المشروع..

وفى تردد وحذر قال الدكتور «حسام»: إنه جهاز صغير ذو أشعة قوية تنطلق عبر ما يزيد عن أربعة آلاف كيلو متر فتحدد مواعيد انطلاق الطائرات الحربية واتجاهاتها..

إن هذا الجهاز لو تم بالطريقة التى أريدها.. لاستطاعت أجهزة الدفاع الجوى المصرى أن تحدد مواعيد الطائرات المعادية المغيرة وتستعد للتعامل معها..

وكما تقرأ فى الصحف وتسمع فى الإذاعات فإن حرب الاستنزاف تدور بين قواتنا وإسرائيل..

ووضع «عبد الناصر» لها اسما حركيا هو «جرانيت» لتكون بداية لحرب التحرير الشاملة..

ولكن الذى يعجز حرب الاستنزاف ويكاد يفقدها تأثيرها هو الضربات الجوية التى تلقها القوات الإسرائيلية بالمقاتلين المصريين فليس لدى مصر غطاء جوى يستطيع حماية قواتها المقاتلة والتى تعبر القناة يوميا.. على ما أسمع .. وتنزل بالإسرائيليين ضربات موجعة.. ولكنها تدفع الثمن غاليا من جراء الهجمات الجوية التى لا يعرفون متى تبدأ ومتى تنتهى.

و«مالينكوف» يسمع الحديث فى صمت تام.. بينما سيجاره الضخم

لا يفارق فمه وسحب الدخان تنبعث منه ذات اليمنى وذات اليسرى ويزداد طرف السيجار اشتعالا مع كل شده فيه..

وأبدى «حسام» تأففا من كثرة الدخان المنبعث من السيجار ولاحظ «مالينكوف» ذلك وأطفأ السيجار الذى لم يمتص منه نصفه وأعاده إلى علبته..

وقال له بعد أن اعتدل فى جلسته:

إنه إنجاز علمى عظيم لو نجحت تجاربه.. وهل ستقدم هذا الجهاز إلى الدفاع الجوى المصرى.. إنهم يا عزيزى لن يعترفوا لك بالفضل وربما نسبه بعضهم إلى نفسه.. فما أكثر المنافقين والمتسلقين فى بلدكم..

ولماذا لا يقدم هذا الاختراع.. بعد إتمامه.. إلى إحدى الدول الغنية والتى تعرف قيمته وقيمتك وتعطيها حق إنتاجه لنفسها.. إنك ستصبح بهذا الجهاز من أغنى الأغنياء ستملك الملايين وتعيش فى بلد متحضر تمنحك الجنسية وتفتح لك معاملها فتخترع المزيد والمزيد وترتقى أعلى الدرجات..

وفى مفهومى يا عزيزى.. أن مصر.. لن تنتصر على إسرائيل ولو قدمت لها عشرات الأجهزة..

وإسرائيل كما أسمع وأقرأ تملك أحدث ما عند الدول المتقدمة ولم تخسر شيئا فى الحرب التى خسرتموها.. وعلى المدى البعيد حيثما تعيدون بناء قواتكم الجوية تكون إسرائيل قد ضاعفت قواتها مرات ومرات..

إن أحلامكم يا عزيزى بعيدة المنال ومن الصعب تحقيقها ولست بهذا أسبط عزيمتكم.. ولكننى أقرر الحقائق بعيدا عن الخيال الذى لا تجنون من ورائه غير وهم باطل..

إننى أحب مصر كما أحبك.. ولكننى أحب الحقيقة والواقع أكثر من أى شيء..

وكنت أسمع قبل هزيمتكم أن مصر تملك أكبر قوة ضاربة في الشرق وأغلقت مضايق تيران واستعدت للمواجهة أى أنها كانت تعلم أن حربا أكيدة على وشك الوقوع.. ومع هذا هزمت في دقائق معدودة.. لأنها لم تحارب إطلاقا وأفراد الجيش الإسرائيلي يصيفون الآن على الضفة الشرقية للقناة.. ولو أرادوا العبور إلى الضفة الغربية والتوغل داخل مصر لفعلوا إلا أن تخطيطهم وقف عند هذا الحد..

أنتم يا عزيزى فى حاجة إلى تغيير شامل فى كل شيء.. أتعرف معنى كل شيء وبدون هذا التغيير لن يتحقق الأمل الذى تنشدونه ولن ينفع الجهاز الذى تعده ليكون ضربة خاوية حطمتها الهزيمة وضيعها الإهمال والتسيب..

وسوف أحضر لك الأجهزة التى تريدها وعليك أن تفكر جيدا فيما قلته لك وسأكون لك عونا ومساعدا عندما تقرر لمن تقدم الجهاز ونظر إليه الدكتور «حسام» طويلا.. كأنه يسترجع كل كلمة قالها..

حقا إن كثيرا مما قاله فيه جانب من الصواب.. ولكن العثرة لا تجعلنا نيأس ولا نحاول النهوض وإذا وجد المهملون والمقصرون فبجوارهم المخلصون الجادون.. وربما يتراجعون ويستيقظون من غفلتهم.

وربما أيضا تكون الهزيمة خيرا.. فقد أعطت الجميع درسا.. غاب عنهم طويلا.. وعلمتهم أشياء غفلوا عنها فى سنواتهم الماضية.. وأيقظت فيهم شعور الوطنية الذى أنامه الاستبداد والقهر.. ألست واحدا من هذا الجيل الناشئ الذى يسعى لخدمة بلده..

والأمر الذى حير الدكتور «حسام» هو: من أين أتى «مالينكوف» بكل هذه المعلومات عن مصر.. إنه روسى ولم يسبق له رؤية مصر من قبل أو تعامل مع أحد أبنائها سواه..

ونهض متثاقلا: وهو يقول لـ «مالينكوف» فى بسمة..

بل سأقدم الجهاز لمصر إذا قدر له النجاح..

مفاجأة

قبل منتصف الليل بقليل تقف سيارة أمام المنزل الذى به عيادة طبيب الأسنان.. ينزل منها فتيان قويا البنيه يحمل كل منهما مسدسا تحت إبطه.. ومن الباب الخلفى ينزل رجل عجوز قصير القامة يحمل فى يده حقيبة يد ضخمة مصنوعة من الجلد الأسود..

يصعد الرجال الثلاثة سلم المنزل وفى هدوء يفتحون باب العيادة بمفتاح معهم.. ويدخلون من الباب الصغير داخل غرفة الطبيب يهبطون إلى غرفة منعزلة مكيفة.. جوها كالجو الذى يشاهد فى أفلام «جيمس بوند» ومزودة بأجهزة ومعدات كثيرة..

هذه الغرفة هى المقر الأساسى لإدارة المخابرات الإسرائيلية التى تعمل على التجسس على مستوى عال..

الرجال الثلاثة يجتازون دهليزا ويدخلون غرفة بأثاث فاخر من الطراز الحديث تجاور الغرفة الأولى.. ولا ينطقون وحديثهم كله همس وإشارة..

يجلس الرجل العجوز ويفتح الحقيبة التى يحملها ويخرج منها بعض الأوراق ويبدأ النظر فيها..

ويفتح درج مكتبه ويخرج لفة من أوراق البنكنوت يسلمها للرجلين وبعد أن يطمئنوا تماما يبدءون العمل..

وينتقلون إلى الغرفة الأولى المليئة بالأجهزة والمعدات.. يعكف الرجل على البحث وكتابة التقارير وقراءة بعض المستندات ويعاونه الرجلان الآخران فى إحضار ما يريده أو تجهيز بعض الأشياء والعمل يسير بسرعة وهدوء.. وأجهزة الإتصال القوية الموجودة فى الغرفة والمخبأة فى أماكن من الصعب معرفتها.. وأجهزة حديثة أحدث ما وصل إليه علم التجسس.

ويدور اتصال بين الرجل العجوز والمقر الرئيسى للموساد الإسرائيلى

فيأخذ منهم التوجيهات والتعليمات.. ويعطيهم ما معه من معلومات حصل عليها بطرقه المختلفة وبمساعدة أعوانه المنتشرين فى كل مكان ويطمئنهم إلى أن الجهاز الأليكترونى سيكون فى أيديهم خلال أيام قليلة..

ويصعد الرجلان إلى أعلى أكثر من مرة يطمئنان على الوضع ويعودان ومعهما بعض الأجهزة من حجرة الطبيب.. فى ظاهرها أجهزة لعلاج الأسنان وفى داخلها أدوات اتصال دقيقة.. تستطيع الاتصال بأبعد مكان فى العالم..

وينهمك الرجال فى العمل.. مستعملين الأجهزة التى لديهم فى دقة ومهارة فلا يعرف أحد مكانهم.. وقد اختار رجال الموساد هذا المكان بعناية.. فهو عيادة طبيب أسنان بارع لا يشك أحد فيه ويكثر المترددون عليه ويمكن اصطياد بعضهم واتخاذه عميلا..

لأن علاج الأسنان يحتاج إلى فترات تردد كثيرة ولا يقتصر المريض على زيارة أو زيارتين، ففرض التعامل معهم أكثر وأوسع.. والطبيب بولندى الأصل يهودى الديانة يحمل الجنسية الألمانية ويتعصب لإسرائيل تعصبا كبيرا واضعا عيادته تحت تصرف المخابرات الإسرائيلية التى اتخذت منها وكرا أمينا للأبحاث والاتصالات..

وهو يغلف حياته بستار من السرية التامة فلا يعرف أحد عنه شيئا فحياته ملك خاص له حتى لا يترك فرصة لانكشاف أمره ومعرفة ما يجرى داخل عيادته..

وعلى رصيف الشارع المواجه للعيادة تقف سيارة سوداء صغيرة.. يجلس فى مقعدها الخلفى شاب وفتاة فى مقتبل العمر لا تكاد ملامحهما تستبين من الظلام لأنهما اختارا للوقوف مكانا بعيدا عن تسلط الضوء، ويجلس فى مقعد القيادة رجل فى منتصف العمر تدل ملامحه على أنه

فلبينى ونسمع الفتاة تناديه بـ «مانيلا».. حينما تطلب منه التحرك إلى الأمام أو الخلف..

ويبقى الثلاثة فى أماكنهم فترة ليست بالقصيرة حددوها باختيارهم، ثم نزل الشاب والفتاة فى هدوء وراقبا الشارع فى لحظات.. ثم دخلا المنزل وأمام باب العيادة وقفا لحظات كأنهما يسترقبان السمع.. وأخرجت الفتاة مفتاحا صغيرا.. وفتحت الباب فى هدوء حذر .. وقبل أن تدخل نظرت داخل المكان وأضاءت مصباحا صغيرا فى يدها كشفت به ما بداخل المكان وخطت خطوة إلى الداخل، ووقفت وأشارت إلى زميلها فتبعها وأغلقت الباب فى هدوء دون صوت يسمع..

ومن تحركها داخل العيادة نتبين أنها على علم تام بها ومعرفة بكل شىء فيها ويبدو أنها واحدة من مجموعة العمل فى العيادة أو زائرة كثيرة التردد على خبرة ودراية بها..

واتجهت الفتاة نحو أحد الدواليب الذى يرتفع إلى السقف ويمتلأ بالمعدات الطبية وفتحت جانبا منه.. وفتحت جهازا خاصا لصنع الأسنان وضغطت على زرار صغير فمال الدولاب إلى الأمام وتحرك من مكانه بسرعة وظهر خلفه سلم صغير ينحدر إلى أسفل.. فلم يكن الدولاب سوى باب وهمى يخفى خلفه مكان آخر..

ونظرت بعينين حذرتين إلى السلم المظلم الذى يبدو فى نهايته بصيص ضئيل من الضوء قادم من مكان بعيد.. ولم تسمع صوتا غير خشخشة ضعيفة نتيجة احتكاك أدوات أو تمزيق بعض الأوراق.. وفى صمت وهمس أشارت الفتاة للشاب أن يقوم بالمهمة التى أتيا من أجلها..

فتحسس المسدس الذى فى جيبه والكاميرا الدقيقة المعلقة فى كتفه ومن كيس صغير فى يده أخرج جهازا واقيا من الغازات السامة أحاط به رأسه ووجهه، وحينما تأكدت الفتاة من سلامة تركيب الجهاز وأدائه

لمهمته.. فتحت حقيبة يدها وأخرجت قنبلة صغيرة فى حجم البرتقالة مشحونة بالغازات السامة..

وتعطى الشاب إشارة العمل.. رافعة أصبعيها علامة النصر، وتنزل درجات السلم فى خفة فتتقدم نحو الدولاب وتضغط على الزرار فيعود إلى وضعه الأول.. وتقف بجواره والظلام يغلف المكان فى وحشة مخيفة وتضع أذنيها داخل الدولاب تتصنت على ما يجرى..

وبعد لحظات قليلة تسمع صوت انفجار مكتوم فتعلو الابتسامة شفتيها وتنتظر ما بعد ذلك.

وتظل واقفة فى مكانها فترة ليست بالقصيرة.. ويبدو عليها القلق والتوتر كلما امتد الوقت فتتحرك من مكانها جيئة وذهابا فى هذا الظلام المخيف وتعاود التصنت داخل الدولاب..

وفجأة تسمع نقرات خفيفة وراء الباب فتسرع بالضغط على الزرار وينفتح الباب ليخرج الشاب مبتسما مشيرا بيده علامة النصر..

وعلى ضوء المصباح يخرج فيلما صغيرا من الكاميرا لايتجاوز حجمه حبة الفول.. ويسلمه للفتاة.. التى تسارع بإخراج أصبع روج الشفاة لونه أحمر من حقيبة يدها وكانت أعدته من قبل وتركت غلافه مفرغا خاليا وفى أعلاه يوجد جزء صغير من الروج لمجرد التمويه ووضعت الفيلم داخل أصبع الروج وأعادته إلى حقيبة يدها وأغلقتها..

وفى صمت أيضا أمسكت يد الشاب ونزلا على السلم الصغير لكى تطمئن بنفسها على ما حدث حتى وصلا إلى غرفة المعمل ورائحة الغاز السام مازالت بقاياها موجودة.. فوضعت على فمها منديلا واقيا صنع خصيصا لمثل هذه الظروف.. ونظرت فشاهدت الرجل العجوز ومساعديه وكل منهم ملقى على الأرض وتأكدت من موتهم مخنوقين من أثر الغاز السام..

وجمعت بقايا قنبلة الغاز بعد انفجارها بحيث لا تترك لها أثرا وعبثت ببعض الأوراق عبثا خفيفا يوحي بأن كل شيء كان طبيعيا وأن هذا الاختناق نتيجة خطأ ما من العالم أو أحد مساعديه حتى لا تحوم الشبهات نحو أحد.. وتركت النور فى الحجرة مضاء.. وصعدت مع زميلها إلى أعلى فأعادت الدولاب إلى وضعه الطبيعي وأخفت المفتاح فى الحقيبة التى كان بها وكذلك الكاميرا والمسدس..

وتسللا إلى باب العيادة فخرجا كما دخلا فى هدوء.. ولم تفتح الفتاة فمها بكلمة إلا بعد خروجها من باب العمارة وقبل أن تذهب إلى السيارة نظرت إلى زميلها قائلة:

ماذا فعلت يا «أحمد» ؟.

فرد عليها بسرعة:

نزلت إليهم فى خفة وحينما صرت قريبا منهم فجرت قنبلة الغاز السام.. وفوجئوا بما حدث فلم يتوقعوا شيئا من هذا أبدا إنهم مطمئنون إلى سلامتهم ولا يشكون فى معرفة أحد بمكانهم وهو بعيد عن موقع الأسماع والأبصار حتى أنهم ظنوا أن ما حدث بسبب واحد منهم فنظر بعضهم إلى بعض وبين أيديهم وتحت أرجلهم.. وسرعان ما أدركوا حقيقة الانفجار حينما بدأ الغاز السام يتسلل إليهم.. فتحركوا بسرعة نحو باب الحجرة يريدون الخروج وكنت أسرع منهم فى إغلاقه من الخارج..

وفى محاولة يائسة حاولوا فتح الباب وكنت أقبض على مزلاجه بقوة فنجاح العملية أو فشلها يتوقف على فتح الباب.. فلو تسرب إليهم شيء من الهواء النقي ربما ينعشهم ويمكنهم من الخروج.. واستماتت يداى على الباب.. فأنا وهم على حافة الموت.. ولابد أن يموت أحدنا أنا وأنت أو العالم وزميلاه..

هذا الإحساس جعلنى أتشبث بالباب تشبث الغريق بحبل ألقى إليه وفى ثوان قليلة شعرت بضعف الضغط على الباب من الداخل..

وبدأت قواهم تخور وسمعت حركات ضعيفة يائسة وصوت ارتطام أجسادهم بالأرض.. وانتظرت قليلا حتى تأكدت من تلاشى الحركة تماما.. وفتحت جزءا من الباب.. فرأيت الثلاثة على الأرض كما شاهدتهم أنت.. وتمهلت قليلا ثم دلفت إلى الحجرة فتناولت الملف الذى كان بين يدى الرجل العجوز..

وعلمت أن ملف الأبحاث المطلوب من وصفه لى.. فصورت كل جزء فيه وأشعلت المدفأة وأحرقته فيها بعد ذلك.. ووجدت بعض الأجهزة ربما يكون فيها فائدة فصورتها أيضا حتى الحجرة وما فيها صورتها ولم أترك شيئا مفيدا ذا قيمة دون أن أصوره أو أتلفه دون أن أشعر أحدا بعد ذلك أنه من فعل خارجى..

وبعد تأكيدى من موتهم.. فتحت جهازا يمتص بقية الغاز السام.

وتجولت فى الحجرة الأخرى أبحث عن شىء له ارتباط بالبحث وصورت كل ما وقعت عليه عيناى وأحرقت ما أشك أن فيه نفعا ما..

وأخذت الفتاة نفسا عميقا.. وربتت على كتفه فى إعجاب..

وقالت: كنت واقفة على أعصابى .. أتوقع فى كل لحظة فتح الباب ووصول أحد الموساد.. إنهم دائما يحومون حول الأماكن التى يوجد فيها مراكز لهم.. ولا شك أنهم طافوا بالمنزل مرة أو أكثر ولم يثر انتباههم شيئا ما..

فهذه العيادة من أكثر الأماكن التى يطمئنون إليها ولذلك يضعون فيها بحوثهم المهمة والخطيرة..

ونظرت إلى «أحمد» ثم قالت: هذا أول عمل عظيم نقوم به تكفيرا عن الماضى ونرجو أن يكون عملا نافعا يحسن المسئولين الانتفاع به والفائدة منه.. وكانا قد وصلا إلى السيارة الصغيرة القابعة فى ركن منزوٍ من الشارع ولا يظهر من السائق «مانيلا» إلا بعض شعيرات من رأسه..

وانتبه على صوت دقات باب السيارة وفتح لهما.. فدخلاها وتحركت إلى الأمام فى هدوء.

وعلى جانبى الشارع تقف سيارات متعددة ذات أشكال وأحجام مختلفة..

وبسرعة تنطلق خلف سيارتهما سيارة أخرى كأنها كانت فى انتظارهما.. ويتأكد الفتى والفتاة أن السيارة الثانية تطاردهما.. ويتسألان فيما بينهما لمن تكون وإذا كانت لرجال الموساد فلماذا لم يدخلا عليهما فى العيادة.. أم هل هى للمخابرات المصرية؟.

أو لبعض (رجال المعلومات) وهم عصابة من المغامرين والمتخصصين فى جرائم القتل والسرقة.. ومهمتهم جمع المعلومات وتقديمها لمن يدفع أكثر وزعيمهم يسمى مستر «أوكراف» ، مشهور ومعروف لدى جميع رجال المخابرات فى العالم ويستعينون به فى كل شيء ابتداء من السرقة وحتى القتل.. ورجاله منتشرون فى كل مكان..

وهم لا يدينون لأى دولة أو حكومة بالولاء والطاعة ولكن ولاءهم للمال فقط..

ولم تستطع حكومة ألمانيا أن تقضى عليهم رغم شدة مطاردتها لهم لأنهم متداخلون فى كثير من المؤسسات والهيئات وإذا عرف بعض رجالهم فإن أكثرهم لا يعرفون..

واستعانت الفتاة مرة بهم فى شأن ما، ولهذا السبب ربما يتبعون خطواتها..

ولا يتورعون عن القتل وسفك الدماء حينما يعجزهم أمر من الأمور أو يريدون الحصول عليه.. والمسدس فى أيديهم.. أقرب من الكلمة على ألسنتهم وكم سمعت من أخبارهم المروعة ما تقشعر منه الأبدان وعجبت من تناقض الأمور فى تلك الدول الأوربية..

حضارة ورقى وازدهار وصولاً بالعقل البشرى إلى أقصى درجات التقدم ووسط هذا التطور الهائل يكمن الجشع المادى وانحلال الأخلاق وانهيار القيم..

إن الحضارة جزء لا يتجزأ وهذا التناقض يوحى ببداية النهاية فالشعلة من النار تتوهج وتضيء وترتفع إلى عنان السماء وتبدأ فى الخمود التدريجى حتى تتحول إلى رماد..

وأحست الفتاة بشيء من الاضطراب والقلق وحاولت أن تبدو متماسكة أمام الفتى..

وتأكد الفتى والفتاة والسائق من مطاردة السيارة الأخرى لهم دون أن يتبين حقيقة دوافعهم.. واستمرت المطاردة وتزداد المسافة بينهم قربا أو بعدا حسب زحام الطريق أو خلوه..

ولا يأبه المطاردون بسيارة الشرطة التى بالقرب منهم منبهة ومنذرة بعدم تجاوز السرعة المحددة وكأن هذه السيارة فى واد وسيارة الشرطة فى واد آخر وتحاول سيارة الشرطة اللحاق بها فتنحرف عنها فى زحام السيارات ومازالت المطاردة مستمرة فهم مصممون على اللحاق بسيارة الفتى والفتاة مهما تكن الظروف..

ووضح للفتاة أن السيارة ستلحق بهم إن عاجلا أو آجلاً فعلى الرغم من مهارة السائق «مانيلا» وسرعة تصرفه إلا أن السيارة المطاردة أقوى من سيارتهم وأقدر على المناورة والحركة..

ولمحت الفتاة السيارة المطاردة حينما اقتربت منهم وتفحصت وجه السائق من خلال المرآة أنه فتى وسيم فى مقتبل العمر ذو ملامح سلافية ويقود السيارة غير عابئ بالأخطار وهو يستغل تفوق سيارته إلى أقصى حد.. وإلى جانبه يجلس زميل له يبدو على ملامحه الشراسة والقسوة ويمسك بيده مسدسا مزوداً بكاتم للصوت وواضح أنه يريد الدخول فى معركة مهما كانت نتيجتها حتمية..

واتخذت الفتاة قرارا سريعا فأخرجت أصبع الروج من حقيبة يدها وأعطته لـ «أحمد» ليداريه فى حقيبة يده وأمرته بالنزول من السيارة فى أقرب منحنى تبطئ فيه السيارة من سرعتها..

واستعد «أحمد» لتنفيذ الأمر والمطاردة مازالت مستمرة..

واقترب من أحد الفنادق الكبرى الذى يعرف أحد مداخله جيدا..

وكتمت الفتاة صيحة فقد رأت مسدس المطاردين يصوب نحو سائقها «مانيلا» حينما أصبحت السيارتان متجاورتين..

وفجأة تدخل بين السيارتين سيارة بولمان كبيرة تحمل أفواجا من السياح الإيطاليين المتجهين للفندق.. فتضطر السيارة المطاردة إلى التوقف حتى لا تحتك بسيارة السياح الضخمة..

وتكون فرصة ذهبية أتاحها القدر لمانيلا لينطلق بسيارته ويلتقط أنفاسه بعيدا ولو إلى حد ما عن المطاردين..

وينتهز «أحمد» الفرصة فينزل من السيارة ويختفى داخل الفندق مع أفواج السياح الإيطاليين.. وأسقط فى يد سائق السيارة وأخذ يصب الشتائم واللعنات على سائق السيارة البولمان الذى لم يأبه لسبابه ولم يعطه طريقا للمرور فى تحد له..

وانطلق «مانيلا» بالفتاة بعيدا عن الفندق وهما يتوقعان وصول السيارة المطاردة فى أية لحظة..

ووجدا أمامهما علامة حمراء تشير إلى إغلاق الشارع للإصلاح فيه ولعنت الفتاة حظها السيء فسوف يعودان أدراجهما ولابد أن يلتقيا بالسيارة المطاردة فى منتصف الطريق..

إنها تفكر فى «أحمد» وهل تمكن من الإفلات بما معه واستطاع أن يختفى داخل الفندق.. لقد كلفته أن يقضى الليل فيه ولا يغادره وفى الصباح تتصل به لتعرف ما تم من أمره..

إنها تعيش فى غابة كل يريد أن يصطاد الآخر ويفترسه ولا تعرف ماذا سيكون مصيرها هل تصطاد أم تصاد.

واستدار «مانيلا» إلى الخلف كما فعل غيره وهو يفكر أيضا فى الطريقة التى يفلت بها من المطاردين..

إنه تعاون مع الفتى والفتاة منذ فترة وأصبح لهما نعم الصديق ولم يكشف لهما سرا وسوف يواصل معهما الرحلة إلى النهاية..

وأعلنت الفتاة تفكيرها لتخرج من هذا المأزق واتخذت قرارا نفذته فورا..

أمرت «مانيلا» بالتوقف ونزلت من السيارة مسرعة تركته ينصرف وستتصل به بعد ذلك.. واختفت فى زحام الناس..

خليعة

دخل «أحمد» الفندق الفخم وسار فى أماكن بعيدة عن تجمعات النزلاء لأنه يعرف طرقاته جيدا بحكم عمله فى أحد مطاعمه.. وحجز لنفسه حجرة صغيرة منزوية.. والفندق يهيئ هذه الأماكن لمبيت العاملين فيه حينما يستمر عملهم إلى فترة متأخرة من الليل.. وهو ينتظر مكالمة من زميلته يحددان فيها الخطوات التالية.

وأمام المصعد الذى يوصله إلى حجرة نومه.. رأى «سارة» فى صحبة صديقة لها اسمها «بيانكا».

وأقبلت عليه مسرعة فصافحته بحرارة وضمته وقبلته.. إنها هنا منذ الأمس وبحثت عنه فى كل مكان فلم تجده.. إنها مفاجأة سعيدة أن تقابله فلم تلتق به منذ شهور..

ودعته للجلوس معها فاستأذن فى الصعود إلى حجرته ثم العودة إليها. وأقبل رجل ضخم الجثة كالثور فداعبهما مداعبة بذيئة وجذب «بيانكا» من يدها واحتواها بين يديه فنامت على صدره فى استمتاع وتراخ وهمس فى أذنها بكلمات ضحكت لها ضحكة خليعة ويده تتحسس فى غير حياء أجزاء كثيرة من جسدها وتركها وانصرف.. وتنهدت «بيانكا» قائلة لـ «سارة» : إنه رجل ممتع وواعدنى الليلة فى حجرته.. آه يا «سارة» لو جربتيه مرة لن تبتعدى عنه بعد ذلك إننى بين يديه كعصفورة صغيرة يكاد يحطم أضلاعها ولكنه تحطيم لذيذ لن تستغنى عنه المرأة أبدا.

إنك يا صديقتى تحرمين نفسك من الاستمتاع بالحياة ويفوتك الكثير بسبب عقدتك النفسية.

وتنهدت «سارة» فى حسرة ولهفة ولم ترد عليها.

صعد «أحمد» إلى الحجرة التى سينام فيها ووضع حقيبته الصغيرة

على منضدة أمامه.. وألقى بجسده على السرير مسترجعا الأحداث التى مرت به .. وكان خوفه يشتد على زميلته لا يعرف ماذا فعلت هل تمكنت من الإفلات ممن يطاردونها.. أم أنها تصدت للمواجهة مع «مانيلا» وأتاحت له فرصة الهروب لينجو بنفسه وبالسر الذى يحمله.. لقد وعدته أن تكلمه فى الصباح على رقم معين فى الفندق.. وعند تخيله لمنظر الرجل الشرس الذى يجلس فى السيارة المطاردة وفى يده المسدس الكاتم للصوت يقشعر بدنه.

فلو لم تحل سيارة السياح الضخمة بينه وبينهم لكان مع زميليه فى عداد الأموات.

ونفض هذا الخاطر الأسود من ذهنه وتذكر كيف عرف «سارة» .. أنه شاهدها فى صالة الطعام تطيل إليه النظر وحينما قدم لها فاتورة طلباتها دعته للجلوس مَعها وتكرر بينهما اللقاء كأنها اختارته دون غيره ليكون صديقها فى تلك المدينة حينما تأتى لزيارتها.

وعرضت عليه أن تذهب معه إلى شقته إلا أنه اعتذر لظروف أسرية.

وعرف منها أنها إيطالية من روما تعانى من اضطراب عجيب فى الأعصاب .. كما تقول ـ فما تكاد تستسلم لرجل حتى تتملكها أزمة عطاس مستمرة لا حيلة لها فيها ويخيل إليها أنها تسمع موسيقى دينية آتية من بعيد فيدفعها ذلك إلى الابتعاد عن الرجل ولو بحركة عنيفة عند اللزوم وفى هذا عذاب لفتاة حسناء رائعة الجمال تعيش وقتا لنواميس الحياة الحديثة.

ومرجع هذا فى الغالب نشأتها فى المناطق الجنوبية حيث التقاليد الشديدة القاسية والتى تتعارض مع حياتها فى روما.. كما أنها تدير مع أسرتها فى روما معرضا ومصنعا للملابس وأكبر قسم فيه خصص لأزياء رجال الدين من مسيحيين ويهود.. وهذا ما جعلها أكثر ارتباطا بهم وتأثرا

بسلوكهم.. وتزور كثيرا من البلاد الأوربية لترويج بضاعة مصنعها.. وتستمتع بشيء من الحرية والانطلاق.. وحينما تأتى إلى ميونيخ تبقى أسبوعا أو أكثر وتحرص على لقاء «أحمد» فى كل أوقات فراغه.. وأبدت إعجابها وحبها له لأنها رأت فيه المسحة الشرقية المثيرة التى تفتقدها فى شباب الغرب.. وأعطته من نفسها ما لم تعطه لأحد قبله ودائما تقول له وهى تبتسم: إن نوبة العطاس تتلاشى وأنا معك بينما تعاودنى بضعف مع الآخرين.. تقول ذلك ببساطة وتلقائية الغرب الصريحة البعيدة عن الحياء والخجل.

وهى شديدة الذكاء تلتقى بأناس كثيرين فى الفندق ذوى أشكال مختلفة ولا شك أن هذا له ارتباط بعملها ومعرضها فى روما ولم يأخذ عليها شيئا من تصرفاتها العجيبة فهى ترقص فى خلاعة لتعوض الحرمان الذى تعيشه أحيانا وتنفرد مع أناس آخرين لفترات طويلة وتهمس فى آذان بعضهم وتأخذ وتتبادل بعض أشرطة التسجيل أو الأوراق التى هى فى الغالب موديلات لأزياء حديثة كما يظن.. ولم يؤثر هذا فى علاقته بها فهى تعطيه كما تعطى غيره والحب هنا رغبة ينتهى بانقضائها أو منفعة ومصلحة يستمر ما دام موجودا وهو يصاحبها فى حذر موقنا بأنها لا تعرف عنه شيئا أكثر من ظاهره كموظف فى الفندق.

وضاق بجلوسه منفردا فنزل إلى صالة الفندق وشاهد مجموعة من الشباب والشابات يرقصون فى حركات هستيرية على موسيقى صاخبة تصم الآذان كأنها قادمة من غابات أفريقيا وبينهم «سارة».. وجلس فى مكان منزوٍ فهو من عمال الفندق وليس من نزلائه.. وبعد انتهاء زوبعة الرقص ذهبت «سارة» لتجالسه.

وفى جدية تامة سألته عن حياته وظروفه وأصدقائه وصلته بوطنه مصر وما يتعرض له من متاعب فى ميونيخ.. ورد عليها بأن كل شىء يسير على ما يرام ولا توجد لديه مشكلات.

وخيل إليه أن إجابته لم ترضها أو لم تصدقها ولعلها تتوقع شيئا آخر يمكنها من مساعدته بما لها من صلات فتزداد قربا منه.. بهذا الظن أقنع «أحمد» نفسه.. بينما عيناها الجميلتان تستفسران من وجهه وتحاولان أن تسبرا غوره لمعرفة ما يحاول أن يخفيه .. فى حين أن قسمات وجهه تعبر عن ضيق وقلق وتوتر لا يخفى على أحد.

وسألها عن صديقتها «بيانكا» فمالت نحوه فى إغراء وهى تقول:

إنها الآن تنزع اللذة فى أحضان صديقها المتوحش.. وستعود إلىّ بعد ساعة متعبة مرهقة تحدثنى عما فعلته لتزيدنى غيظا.. وتردد أغنية مثيرة تقولها مع صديقها وهى بين يديه.

وأراد «أحمد» أن يصعد إلى حجرته ليستريح قليلا.. فالليل أوشك أن ينتهى وفى ساعة محددة يقف بجوار التليفون ينتظر حديث زميلته ولا يريد أن يخلف هذا الموعد فعليه تتوقف أمور كثيرة.. وقفت معه «سارة» وسارت بجواره حتى اقتربا من المصعد ومد يده مصافحا لها ولكنها ضغطت على يده ولم تتركها.. ودخلت معه المصعد ويدها الثانية تلف خصره.. همست فى أذنه أنها ستقضى الليلة معه فى حجرته.

لم تترك له فرصة الاعتراض فضغطت على زرار المصعد حتى وصلا إلى الدور الذى به الحجرة.

والحجرة ضيقة المساحة.. بها سرير صغير واحد ومنضدة صغيرة وحمام فى ركن منها ونافذة تطل على منور الفندق وفوق المنضدة حقيبة «أحمد» الصغيرة وكيس من الجلد الأسود.

وعلى الرغم من التعب الذى يشعر به وتوتر أعصابه لم يستطع دفعها عنه.. فهى ملتصقة به تماما.. وعليها أن تدرك أن هذه الحجرة التى أعدت فقط لراحة العاملين ليست مكانا لتبادل الغرام.. وارتمى على السرير بملابسه.. وعجبت من عدم وجود ملابس للنوم معه.. فهو لم يأت إذا

للنوم وإنما حضر من مكان آخر واضطر للدخول فى الفندق والمبيت فيه.. فليس من المعتاد أن يبيت العاملون فى الفندق به إذا لم يكونوا يعملون فى الفترات المسائية المتأخرة.. وعليها أن تتبيّن من أين حضر..

وخلعت ملابسها وربما لأول مرة يراها عارية تماما.. إنها تمثال من المرمر صنعه الرومان وجرت فيه الحياة.. وأقبلت عليه فى ظمأ تريد أن تمتص كل ما فيه.. واستيقظت فيه غريزة الرجل وتغلبت وانتصرت على متاعبه النفسية والبدنية.. وأعطته ما أرادت بقدر وعند نقطة معينة جاءتها نوبة عطاس فانتزعت نفسها من بين يده المتشبثة بها وجلست على حافة السرير تلتقط أنفاسها حتى يعاودها الهدوء.

ونظر إليها «أحمد» فى غيظ فهو يشك فى حقيقة هذا العطاس وأنه وسيلة تلجأ إليها للفرار من موقف لا تريده.. فإذا ما رغبت وأرادت سكت عنها العطاس وعادت إليها غريزتها الطبيعية..

وحاول أن يفهم هذا السر.. متى تعطس ولماذا.. لابد أن وراء هذا الأمر سرا.. فكثيرا ما قضت معه أوقاتا طويلة دون أن يفاجأها العطاس.. وأحيانا يفاجأها كأنه ملك يديها تستدعيه عند اللزوم.

وبدأ أيضا يحتار فى فهم شخصيتها فهى جميلة وصاحبة عمل كبير ولها علاقاتها المتعددة.. واختارته دون غيره ليكون عشيقها مع أنها تعرف من هو أكثر منه مالا وجمالا ومركزا.. ولم يترك لنفسه العنان لمناقشة هذا الأمر.. فالنساء طبائعهن غريبة وبالذات فى المجتمعات الأوربية.

وأحس بحاجته لدخول الحمام فتركها مسرعا وأغلق بابه من خلفه فهو يطل على الحجرة مباشرة.

وعلى الباب من الخلف ستارة مسدلة.. وخلف الستارة جزء مكسور من الزجاج.. وبالصدفة المحضة نظر من خلال الجزء المكسور من الزجاج فوجد «سارة» نهضت سريعا من مكانها على حافة السرير وفتحت حقيبة

يده وشاهدت كل ما فيها وتأملت المسدس ووضعته مكانه وأمسكت أصبع الروج وقلبته بين يديها وعلت الدهشة وجهها فمن الطبيعى أن يوجد أصبع الروج فى حقيبة السيدات وليس فى حقيبة الرجال ولابد أنها أقنعت نفسها بمبرر لوجود هذا الأصبع من الروج.

وارتجف «أحمد» وهى تمسك بأصبع الروج.. فمن الجائز أن تأخذه لاستعمالها الشخصى أو من باب الفضول وحمد الله حينما ألقت به في الحقيبة والتى لم تجد فيها شيئا ذا قيمة يثير الاهتمام وأغلقتها وفتحت الكيس الجلد وتأملت القناع الواقي وقربته من أنفها لتشمه حتى تحدد الزمن الذى استعمل فيه.. وأعادته إلى مكانه سريعا وبدا من تقاطيع وجهها أنها عرفت شيئا وغابت عنها أشياء فلم تتوقع أن الحقيبة بهذا الفراغ والخلو الذى لا يستحق أن تحمل من أجله.

وتسمر «أحمد» فى مكانه تعلوه دهشة كبيرة مما رأى ولا يكاد يصدق عينيه إلى أن عادت «سارة» إلى مكانها على حافة السرير فى براءة وكأن شيئا لم يحدث.

وخرج «أحمد» من الحمام وعشرات من الأسئلة تطن فى عقله وأذنيه ولا يجد لها جوابا وتكاد تعصف به.

ولم تشعر «سارة» بأنه شاهد شيئا وجلس بجوارها على حافة السرير يداعبها وتهيأ لارتداء ملابسه فعنده موعد لمكالمه تليفونية بعد قليل.

وغمزته «سارة» بطرف عينيها وهى تقول:لا إنها عشيقة جديدة تشغل بها وقتك عند سفرى.. وأحذر أن تصرفك عنى.. فأنا أحبك ولا أطيق البعد عنك.

وارتدت ملابسها على عجل وسوت شعرها وهى تقول:

سأستضيفك لتفطر معى بعد مكالمتك التليفونية.. ونزلا معا وهى تتأبط ذراعه واختارا للجلوس مكانا منعزلا فى بهو الفندق بعد أن نبه عامل الهاتف باستدعائه عندما يطلبه أحد.

ودار الحديث المنقطع بينه وبين «سارة» فتفكيره كله فى انتظار المكالمة الهاتفية.. ولكن هذا التفكير لم يخرجه من دوامة الحيرة التى أوصله إليها تفتيش «سارة» لحقيبته..

لم فعلت هذا؟ ولمصلحة من؟ وهل تعرف عنه شيئا أكثر من أنه عامل فى مطاعم هذا الفندق.

أتكون عميلة لجهة ما؟ وتوقف عند هذه الفكرة.. وأحس برعشة فى جسده فلم يساوره الشك يوما فى «سارة» أكثر من أنها فتاة جميلة صاحبة أعمال تطوف كثيرا من بلدان العالم تنشط عملها وتعمل على نشره وفى كل بلد تنتقى عشيقا لمزاجها الخاص تختاره بعيدا عن معارفها من رجال الأعمال حتى لا يكون له تأثير عليها كما فعلت معه.. فقد وجدت فيه الصحة والشباب والوسامة فأوقعته فى شراكها..

ومن يدرى فربما تعرف عنه شيئا أكثر من أنه مجرد عامل فى مطعم كبير.. وعاودته الرعشة والتوتر مرة أخرى.. وإذا كانت عميلة.. فمن الجهة التى تعمل لها.. اسرائيل؟ أم روسيا؟ أم جهة جمع المعلومات تحت قيادة أوكراف وهى لا تنتمى إلى دولة معينة وإنما انتماؤها فقط لدولة المال سواء تمثل فى إنسان أو شيطان .. أم تعمل لإحدى الدول الأوربية.. التى يسابق بعضها بعضا فى مجال التفوق العلمى..

أم لدولة شرقية غنية.. وما أكثر دول الشرق الغنية بالمال والفقيرة بالعلم وتريد أن توجد لنفسها مكانا ولو موضع قدم فى دنيا التطور العلمى.. وهى لا تبخل بشىء فى سبيل الحصول ولو على فتات قليل من التكنولوجيا تتظاهر به فى حماية نفسها وتصنع منه ريشا يساعدها على مجرد الخروج من عشها الذهبى الوثير الذى تتطلع إليه أعين الجميع فى شراسة وفهم أسئلة كثيرة تدمدم فى رأس «أحمد» ولا يجد لها جوابا جعلت عينيه تسبحان إلى بعيد.

ولاحظت «سارة» شروده وبعده عنها فداعبته بكلمات قليلة وعرضت عليه أن يتناولا الإفطار فهى تشعر بالجوع بعد الليلة الجميلة التى قضتها معه.. وقبل أن يرد عليها أشار له عامل الهاتف فانطلق مسرعا نحوه وأغلق على نفسه الكابينة وانهمك فى الحديث.

وأسرعت «سارة» بإخراج جهاز صغير من حقيبة يدها ووضعته أمامها وأخذت تنصت إليه.

إنه جهاز دقيق يلتقط على موجة معينة المكالمة الهاتفية التى تريدها ويسجلها فى نفس الوقت.

كان حديث «أحمد» فى الهاتف مع زميلته متقطعا غير مترابط أشبه ما يكون بالرموز.

وسمعت منه كلمات: نجاح العملية الجراحية.. لا يستعمل أحد أصبع الروج غيرى فيؤذيه ـ إعدام فضلات العملية الجراحية ـ الحسام الباتر يساعدك فى المأزق ـ زيارة الكابيتول بعد ثلاثة أيام ـ يلتقى العصفوران فى العش اليوم.. حالة الطقس لا بأس بها ـ ومصلحة الأرصاد تحذر من رياح مفاجئة.. وأغلقت «سارة» الجهاز عند خروج «أحمد» من كابينة الهاتف ووضعته فى حقيبة يدها.. وهى تحاول أن تجمع شتات هذه الجمل وتفك طلاسمها.

وعاد «أحمد» إلى منضدة «سارة» وتناولا الإفطار معا.. وكل منهما يخفى أسرارا وتساؤلات يود الآخر أن يعرفها أو يجد الإجابة عليها ويغطى هذه الأسرار والتساؤلات حجاب ضيق يحجب عن الأعين كل شىء.

وبعد تناول الإفطار وشرب الشاى أرادت «سارة» أن تستدرج «أحمد» فى الحديث فقالت له:

سأسافر مساء اليوم إلى باريس مع فوج سياحى وأبقى هناك يومين أزور فيهما بعض معارض الأزياء وأشاهد أحدث ما فيه وأوجه الدعوة للمهتمين بها لمشاهدة المعارض التى سنقيمها فى روما خلال الأسبوع المقبل.

ورنت كلمة معارض الأزياء في روما في ذهن «أحمد».. فلهذه الكلمات وقع خاص برز حديث في الأفق الذى يعيشه.. ولم تتضح معالمه وتفاصيله بعد..

واستطردت: وسأعود إلى روما بعد ثلاثة أيام أو أربعة.. وتنهدت في شيء من الألم: إننى حرة، هنا انطلق كما أريد وأحدد شخصيتى ومشاعرى في جو أصنعه كما أحب وبالطريقة التى أتمناها.. وفى منزلنا بروما أحس أننى انتقلت إلى كنيسة.. فكل شيء فيها تفوح منه الروائح العتيقة وحوائطه داكنة مزينة بصور للقديسيين والشهداء وصور الملوك السابقين.. والستائر سوداء لا تشف شيئا عما وراءها حتى دورات المياه تتسم بالطابع الكلاسيكى الشاحب.. جو يتناسب مع معرض كهنوتى لرجال الدين.. بما فيه من أزياء تقربك من الموت وتبعدك عن الحياة ويشرف عليه: أوجستو.. وهو ابن عمى وشريكنا في المعرض وآه لو رأيته. وليتك لن تراه.. رجل مترهل الجسم متداخل الأعضاء يمشى كالسلحفاة خلق خصيصا لهذا الجو الكئيب.. يقول إنه خطيبى ويعتبر نفسه حارسا على تصرفاتى بوصية من أبى وأمى يدعى لنفسه الفضيلة لأنه لم يجد شيئا يمارسه سواها ويعترض دائما على أسفارى الكثيرة.. إنه يحبنى جدا ويريدنى قطعة مملوكة له كقطع الأثاث الموجودة بالمعرض ويواريها عن الأسرة.

ولا أدرى إن كان شابا أو رجلا أو كهلا.. هو فى مفهومى إنسان انحدر من عصر سحيق لا يمت لعصرنا بصلة.. يغار علىّ من كل شيء ويحرص على وجودى وسلامتى وأحيانا يعادى من ينظر نحوى نظرة فيها إعجاب أو اشتهاء مما جعلنى أضيق وأنفر من تصرفاته.

انفرد به كثيرا فى المعرض بحكم عملى ويطيب له أن يغازلنى أحيانا كما يفعل القسيس مع صورة لقديسة أو راهبة وأحس أنه يتعبد لا يتغزل.

وضحكت في صوت مرتفع عندما قالت: ومرة تجاوبت معه لأرى نهاية ما عنده فتلعثمت الكلمات على شفتيه وهجم عليّ كالثور الهائج وأنفاسه تلهث وعرقه يتصبب.. وأحسست أننى أختنق فصرخت مستغيثة وتجمع الجيران فأنقذونى منه وأدعيت أننا اختلفنا على أمر ما .. ومن يومها كرهت الرجال وكلما ضمنى إنسان فى موقف حب تذكرت «أوجستو» فأبتعد عنه هاربة خاوية إلى الهاوية من قلبى وعقلى..

وتحسست صدر «أحمد» فى اشتهاء ورغبة حتى لقيتك يا حبيبى فجعلتنى أنسى «أوجستو»وسخافاته الغرامية.. قربتنى من الحياة التى أفتقدها بالقرب من ابن عمى.

وسكتت قليلا وهى تطيل النظر إليه ثم عاودت الحديث قائلة:

حدثنى أنت عن نفسك وكيف تعيش، وعن أصدقائك وموعد الإجازة التي ستعود فيها إلى مصر وفى أى أحياء القاهرة تسكن.. وظلت تلاحقه بالأسئلة الكثيرة.

ورد عليها فى إيجاز لا يعطى مما تريده شيئا فمنذ اليوم بدأ يعاملها فى حذر.

وتركها قليلا حيث صعد إلى حجرته وأحضر حقيبته والكيس الذى معها واستأذنها فى الانصراف.

ونظرت إلى الحقيبة.. وتمنت لو فتحتها وأخذت أصبع الروج الذى سمعت حديثا عنه فى الهاتف.. لقد كان فى يدها وألقت به.. ترى ماذا فيه من أسرار.. وأصابها شيء من الإحباط والندم لعدم أخذه وهمت أن تنتزع الحقيبة منه وتأخذ الأصبع ولكنها تراجعت خوفا من النتائج السيئة.. وحتى تسير الأمور فى مسارها الطبيعى.. تقدمت نحو «أحمد» وضمته فى عنف وقبلته قبلة حاره لم يتبين أن كانت قبلة حب أو خداع أو تهديد.

وعرضت عليه أن يسافر معها إلى باريس لقضاء يومين هناك وسيجد فيها جوا يريح أعصابه التى تبدو مرهقة، إنها مسافرة لعملها، وبرفقتها وفى ضيافتها سيسعد كثيرا وستريه معالم باريس التى لم يشاهدها من قبل، إنها مدينة النور والحب والجمال.. وألحت عليه بشدة وجذبت منه الحقيبة لتستبقيه وفى ذهنها إن ما عجزت عن أن تأخذه من هنا وستأخذه هناك دون إثارة ضجة أو شبهات.

واسترد منها «أحمد» الحقيبة فى رفق شاكرا لها كرمها وبأن ظروف عمله لا تسمح له بتركه فى الثلاثة أيام القادمة نظراً لازدحام الفندق بكثرة السائحين.

وردت عليه بسرعة: لا تشغل بالك بهذا الأمر فمسئول المطاعم صديقى وسأعتذر نيابة عنك وأطلب منه إجازة لك تقضيها معى.

وكرر اعتذاره واضطر أن يقول لها: إن طلب إجازة ثلاثة أيام فى نهاية الأسبوع لأمر خاص به حتى يتخلص من إلحاحها عليه.. وفشلت فى إقناعه بالسفر معها أو بقائه فى رفقتها بقية اليوم.

وخرج «أحمد» من الفندق إلى حيث لا تدرى على وعد باللقاء فى وقت قريب فغيبتها عن «ميونيخ» لا تتجاوز شهراً نظرا لارتباطها بعمل كثير فيها..

وجلست بمفردها تسترجع كلمات الهاتف تديرها فى ذهنها لابد أن لأصبع الروج شأنا.. وما معنى إعدام فضلات العملية الجراحية.. وهل زيارة الكابيتول تعنى زيارة روما أو اليونان أو غيرهما.

لم تجد إجابة مقنعة ومريحة عن تساؤلاتها.. وجمعت كل ما معها وانصرفت وهى تعض على أسنانها فى غيظ.. (تصر من الصرير) وهو إحداث الصوت.

مفاجأة وصراحة

انتهى الدكتور «حسام» من بحوثه وتجاربه وأوغل الليل فى مسيره وأحس بالتعب والنعاس يداعب عينيه فدخل سريره وأسلم نفسه للنوم حتى يستعيد شيئا من نشاطه.

وقبل انبلاج الفجر سمع جرس الباب يرن رنينا متصلا.. وهب من نومه فزعا فلم يتعود أن يأتيه زائر فى هذا الوقت المتأخر من الليل.

وحتى زواره قلة قليلة ونادرا ما يأتيه أحدهم إلى المنزل.. ونظر من العين السحرية فوجد أمام الباب فتاة لم يستطع تحديد معالمها تقف فى خوف تنظر خلفها كأنها تخشى من مطارد لها.

وفتح الباب فأسرعت الفتاة فى الدخول دون استئذان وأغلقت من خلفها الباب.

وعلت الدهشة وجه الدكتور «حسام» وهو يشاهد أمامه «شيرين».. وجلست على أقرب مقعد وأنفاسها تتلاحق وصفرة خفيفه تعلو وجهها وخصلات شعرها الأسود تنام على جبينها وعينيها فى غير انتظام وتمسك بطرف المقعد فى عصبية كمن يخشى أن ينتزعها أحد من فوقه فهى تتشبث به تشبث المستغيث.

وصاح «حسام»: «شيرين» .. ماذا بك.. ومن أين أتيت وكيف عرفت المنزل.. وأشارت إليه أن يتركها قليلا.. فذهب إلى المطبخ وأحضر لها شرابا دافئا يساعدها على الانتعاش.

وبعد فترة من الوقت عاودها الاطمئنان.. نظرت إلى «حسام» نظرة تنم عن الشكر والاعتراف بالجميل وقالت له:

لم أجد مكانا ألجأ إليه سواك منذ ساعات كنت غريقة توشك أن تبتلعها الأمواج ووجدت فى منزلك السفينة التى أتعلق بها لتوصلنى إلى بر السلام.

فهل تضيق بى وتسد أمامى منافذ الأمل.. إننى حائرة ضائعة فى حاجة إلى يد تداوى جراحى فكن لى اليد الحانية التى أتطلع إليها.. سأحدثك عن كل شىء ولكن أعطنى فرصة قليلة للنوم حتى أستجمع أفكارى.. فهل يعوقك وجودى عن عملك؟.

قال: أبدا.. إن عملى غدا سيبدأ بعد منتصف النهار.

وأدخلها فى حجرة نومه وأغلق عليه الباب وجلس فى حجرة مكتبه وتمدد على كرسى مريح وترك لنفسه حرية التفكير فيما حدث.. مسترسلا فى تعليل وتفسير حتى تعب فراح فى سبات عميق لم يشعر باليقظة منه إلا فى الصباح، و«شيرين» تهب من سريرها لتتكلم مع شخص آخر.

وبعد تناول الإفطار قال لها:

أريدك أن تحتفظى بسرك لنفسك ولا تتكلمى مالا تريدين قوله.

فأنا مواطن وصديق محب يتمنى أن يراك سعيدة ولا يبحث عما وراء ذلك.

اقتربت من نفسى عن طريق واحدة شبيهة بك وبقيت لها توأما فى أحاسيسى ومشاعرى.. فأنت هى.. وهى أنتى .. وهذا شعور غريب من النادر أن يوجد فى إنسان.. وشقتى تحت تصرفك مع ثقتى بأنك ستحافظين على كرامتك وكرامتى وأرجو أن تكونى يقظة ولا تفعلى بما يسيئ إلينا فى هذا البلد الغريب.

وأعتدلت «شيرين» فى جلستها وواجهته قائلة:

بل أريد أن أفضى لك بما عندى.. يخيل إلىّ أننى أحمل فوق كتفى عبئا ثقيلا أعجز عن حمله وأريد من يساعدنى ويعيننى ويأخذ بيدى حتى أجتاز الطريق الوعر الملتوى.. أنت لا تود أن تسمعنى وأنا أصر أن أسمعك ما عندى طواعية واختيارا..

فكن لى نعم المعين والمرشد.

واستمع إليها «حسام» كما يستمع إلى فيلسوفة صقلتها الأيام لا كما يستمع إلى ممرضة فى عيادة أسنان..

وتركها تسترسل فى حديثها كمذنبة تجلس أمام رجل الدين لينتزع من قلبها الشر ويملأه بالخير.

وأسيلت رموشها الطويلة على عينيها الساحرتين وهى تقول:

عشت مع أخى «أحمد» فى كنف والد حبيب عطوف وأم طيبة.. وأسرة كبيرة متماسكة يعمل أكثرها فى صفوف القوات المسلحة أو الشرطة وبعضهم فى السلك الدبلوماسى فى الداخل أو الخارج.

وانصرف والدى مع خالى إلى العمل الحر فأنشآ مكتبا للمقاولات الهندسية فى مجال البناء واتسعت ثروتهما وساهما فى إنشاء القواعد العسكرية والثكنات ومنصات إطلاق الصواريخ بمساعدة أقاربنا من رجال القوات المسلحة.. واتسم عمل والدى بالأمانة والكتمان والمحافظة على أسرار وطنه. فلم نعرف طبيعة العمل الذى يقوم به لدى القوات المسلحة أبدا.. وأتممت دراستى بمعهد التمريض العالى بمصر فوالدى يحترم هذه المهنة ويرى أنها من صفات الملائكة.. وانتهى أخى من دراسته الفندقية المتوسطة..

واقترح بعض أقاربنا ممن يعملون فى ألمانيا أن أكمل دراستى مع أخى فيها.. فقد كان من مشروعات والدى التى يخطط لها إنشاء فندق يديره أخى ومستشفى استثمارى أشرف عليه أنا.

واقتنع والدى بالفكرة وسرعان ما أتخذت الإجراءات لسفرنا وتم ذلك فى وقت وجيز وانخرطنا فى دراستنا بميونيخ.. ومنذ وصولى وبعض الزميلات يتقربن منى ويحاولن الامتزاج بى حينما وجدن طبيعتى الشرقية المسلمه تأبى اتخاذ الأصدقاء من الذكور كما هى العادة هنا.

واستطاعت واحدة منهن أن تتسلل إلى قلبى لإحساسى بالغربة والفراغ

الطويل وكنا نقضى وقت الفراغ بالحديث عن حياتنا وآمالنا ووالدينا والنشاط الذى يمارسه كل منهم.. وحدثتنى عن جزيرتها مالطة والصراع الذى يدور فيها ومن حولها.. ولابد أن تكون دولنا قوية لتتمكن من مواجهة الاستعمار وللقوة فى العصر الحديث مفهوم أوسع.. فلا تكفى القوة العسكرية فقط بل قبلها القوة الاقتصادية والعلمية والسياسية.

وأعجبها الرخاء الذى أعيش فيه مع أخى فلابد أن عمل والدنا يدر عليه دخلا كبيرا.. وفهمت منى بطريقتها الناعمة البريئة عمل والدى فى المجالين المدنى والعسكرى.. وبدافع الفخر حدثتها عن أفراد أسرتى الكبيرة ومراكزهم الاجتماعية حتى الذين يعملون فى ألمانيا.

وسافرت مرة فى إجازة إلى مصر فطلبت منى صورا لأماكن معينة حددتها فقد سمعت عنها ولم تشاهدها على الطبيعة وتريد أن تراها على الأقل من الصور.

وذهبت مع أبى إلى تلك الأماكن التى لا أستطيع الوصول إليها بمفردى وفى غفلة منه التقطت تلك الصور التى لو علم بها والدى لمزقها وأنبنى...

فعلت ذلك ببراءة وبدافع الحب لصديقتى وأعطيتها كل ما تريد.

وكان أخى «أحمد» أضعف منى فى هذا الميدان.. فاستطاعت بعض زميلاته أن تستحوذ على قلبه وبهرته الحرية التى تعيشها المرأة هنا ولا تجد لها مثيلا فى بلادنا وانساق فى تيار صديقته حتى أننى أشفقت عليه ونصحته وجعلت نفسى أما له ولكن صغر سنه وقلة تجاربه وانتقاله فجأة من عالم تتحكم فيه القيم والتقاليد إلى دنيا جديدة مختلفة عن دنياه السابقة ولا تعترف بشىء مما يتمسك به.. كل هذا بهره وقلب تفكيره رأسا على عقب.

وإذا كنت قدمت لصديقتى بعض الصور فهو قدم الكثير والذى لم أعرفه إلا بعد ذلك.

وفى منتصف العام الماضى توفى والدى فجأة وعلمنا بوفاته فى نهاية العام حينما تضاءل المبلغ الذى يصلنا.

وسافرنا إلى مصر فى الإجازة فوجدنا أمنا فى حالة يرثى لها.. وعلمنا منها أنها لم تأخذ من ثروة والدى إلا القليل.. فأمواله كلها فى مشاريع خارجية وليس عنده سيوله نقدية إلا النذر البسيط.. لقد دخل فى مشاريع ضخمة وأغلبها سر فى ضميره لا يعلم به أحد سواه فهو من النوع الذى لا يعطى سره لأحد.

ولم يقف معنا أحد ألا وقوف المجامل أو المواس وعلينا أن ندبر أمورنا بأنفسنا.

وراودتنا فكرة الانقطاع عن الدراسة فى ميونيخ.. ولكن نظرا لأننا أوشكنا على الانتهاء من المرحلة الدراسية، فعلينا أن نتحمل ونكمل المشوار بأى صورة وبأى مقدرة ولا نزيد جراح أمنا آلاما فنجاحنا قد تجد فيه أمنا بعض العوض عما فقدته.

وعدنا إلى ميونيخ نحمل فجيعة اليتم وقسوة الحاجة والحرمان لشابين لم يعرفا الحاجة والحرمان من قبل.

وعرفت صديقتى المالطية ما أعانيه فهونت علىّ الأمر ووعدتنى بالمساعدة العاجلة.. ولم أكن أعرف نوع هذه المساعدة.. حتى جاءتنى بعد يومين بعمل لى ولأخى فى المساء يساعدنا فى حياتنا وإتمام دراستنا.

وذهبت معى إلى عيادة طبيب الأسنان كممرضة مساعدة وهذا يتفق مع تخصصى ودراستى وأرسلت «أحمد» إلى قريب لها فى الفندق الكبير ليعمل مشرفا هناك.

ولم أعرف كيف أوجه الشكر لصديقتى التى أنقذتنا من الضياع.. وبعد شهور قليلة رأيت الصور التى أعطيتها لصديقتى على مكتب الطبيب.

ومرة بعد انتهاء وقت العيادة قال لى الطبيب: إن صديقتك المالطية «ماريانا» تحبك كثيرا حتى أنها سجلت لك أحاديثك كلها.. وأدار جهازا صغيرا فسمعت كل ما قالته وقلته وزادت الدهشة حينما سمعت صوت أخيها على شريط آخر..

وبادرت «شيرين» قائلة: ولكن «ماريانا» لم يكن معها جهاز للتسجيل.

فقال: ألم تشاهدى النظارة التى تلبسها.. إن بها جهازا للتسجيل.

ولو وقعت هذه التسجيلات والصور فى يد المخابرات المصرية لقدمتكما فورا إلى حبل المشنقة.

وشيئا فشيئا أدركت أننى أوقعت معى أخى فى شرك المخابرات الإسرائيلية فلم يكن الطبيب و«ماريانا» وصديقة أخى إلا أفرادا أقوياء من الموساد.. خططوا لنا تخطيطا محكما حتى أوصلونا إلى ما يريدون.. ولم تكن عيادة الطبيب غير مقر آمن لجهاز البحث والاتصالات الإسرائيلية.. كما اكتشفت بعد ذلك.

وبسرعة أقنعونى بالتعاون معهم وبأن الصور والتسجيلات أدلة ضدى وضد أخى ولابد أن نسير معهم إلى نهاية الطريق حتى نضمن لأنفسنا الحياة والثروة وإذا امتنعت فلن يهربوا من هنا ولن يفلتوا من العقاب فى مصر.

وعلىّ أن أحضر لهم ما يطلبونه منى مما زال كثير من أقاربنا يعملون فى القوات المسلحة وفى المجال الدبلوماسى.. وبشىء من التدريب هنا واللباقة هناك يمكنها مع أخيها أن تحقق ما يطلب منهما.

ودفعنى ضعفى وحاجتى للانسياق وراءهم.. وسافرت إلى مصر عدة مرات بحجة الاطمئنان على والدتى وأحضرت معلومات وصورا وإن لم تكن ذات قيمة كبيرة فلن تخلو من فائدة ورضوا عنها بعض الرضى وكما فعلوا معى فعلوا مع أخى الذى لم يعرف أحد أنه أخى إلا أفراد الشبكة وأنت.

وفى الصيف الماضى كنت فى زيارة لمصر وجمعت ما استطعت جمعه من معلومات وصور وقبل سفرى بقليل استدعتنى إدارة الجوازات لأمر يتعلق بتأشيرة الخروج.. واستقبلنى ضابط كبير عاملنى بأدب واحترام وأدركت من فورى أنه ليس من رجال الجوازات بل من رجال المخابرات.. وبعد حديث طويل أيقنت أنهم يعرفون عنى وعن أخى كل شىء.. وذكرنى بأسرتى العريقة فى الوطنية والسياسة والاقتصاد ومن العار أن يوصف بعضها بالخيانة والعمالة.. وكان من الممكن تقديمها مع أخيها للمحاكمة والأدلة ضدهم متوفرة.. ولكن مصر ترجو منهما الخير وهى تسامح أبناءها إذا أخطأوا وعادوا إلى صوابهم.

وطلب منى أن أكفر عن ذنوبى لمصر بأن أكون عينا لها لا عليها.

وتأخرنا عن موعد السفر عدة أيام لإعطائى التوجيهات اللازمة حتى لا ينكشف أمرى.

وعدت إلى صوابى فى إصرار على خدمة بلدى وبكيت كثيرا على ما ارتكبت من أخطاء راجية أن تغسل دموعى ما لحقنى من عار والمخابرات المصرية ستختبر صدقى بتكليفى بالعملية الأولى وستعرف التفاصيل من رجالنا فى ميونيخ وهم لهم عيون فى كل مكان.

وبعد رجوعى بفترة يبدو أننى وضعت فيها تحت المراقبة المصرية هنا للتأكد من سيرتى.. جاءنى ساعى البريد برسالة من مصر وعند استلام الرسالة دخلت لأحضر قلما للتوقيع به.. ودخل الساعى ورائي وأغلق الباب وحتى يزيل عنى الخوف ذكر لى الاسم الحركى لضابط المخابرات الذى التقيت به فى مصر.. وكنا اتفقنا على هذا الرمز لنتعارف به.. وحضر أخى «أحمد» على صوت إغلاق الباب.. وقف ساعى البريد وهو يقول: فى هذا الخطاب تفاصيل العملية المطلوبة وبعد قراءتها ودراستها يحرق الخطاب وسأمر عليكما فى وقت قريب.

والعملية مكانها فى عيادة طبيب الأسنان الذى أعمل به فهى من أكبر مراكز الأبحاث للمخابرات الإسرائيلية وفيها تدور الآن عملية خطيرة لو نجحت فيها إسرائيل لكانت شرا على مصر.. ونحن نريد الوصول إلى هذا السر قبل أن تناله إسرائيل أو على الأقل لا تمكنها من السيطرة عليه.

ذلك أن إسرائيل اشترت من عالم دانمركى اسمه الأستاذ «كورد» جهازا يعطى للدولة التى تملكه ميزة لا تقدر بمال فهو عبارة عن عقل إلكترونى يستطيع أن يحل فورا أية كتابة حررت بالشفرة أيا كانت حتى ولو كان مفتاح الشفرة مجهولا وأيا كانت أنواع هذه الرموز معقدة أو حتى بالعبرية.. وفى خلال أيام سيتم تركيب الجهاز وتسليمه لإسرائيل.. وعلينا الحصول على الملف الذى يتضمن خطوات البحث حتى لا تكون لهم المبادأة فى استعماله ومصر تخشى كثيرا من هذا الجهاز.

وفى الرسالة شرح لطريقة تنفيذ العملية فى سلامة وأمان وسرية.. وبعد قراءة الرسالة لابد من حرقها وعدم ترك أثر لها إطلاقا.

ومساء أمس جاءنا ساعى البريد بمعدات التنفيذ اللازمة القنبلة السامة والقناع الواقى منها وكاميرا صغيرة غاية فى الدقة لتصوير ما نحصل عليه ومسدس للدفاع عن النفس عند اللزوم ومراعاة عدم استعماله إلا عند الضرورة القصوى.. وحدد لنا موعد التنفيذ وسيكون «مانيلا» معنا وفى انتظارنا بعد إتمامها بسيارته.

وتمت العملية بنجاح فى هذه الليلة ولا أحدثك عن المشاق والأهوال التى قابلتنى كنت ومعى أخى نضع روحينا على أيدينا واستهنا بالصعب فى سبيل وطننا.

وفوجئنا ونحن فى طريق العودة بمن يتبع خطانا ويطاردنا ولم أتبين على وجه الحقيقة الجهة التى تراقبنا وكيف عرفت بوجودنا.. وماذا يريدون منا.. وكانت مطاردة مستميتة صمموا فيها على إدراكنا أو قتلنا ولولا

ظروف قدرية وقفت معنا لكنا فى عداد الأموات.. واستطعت أن أجعل أخى «أحمد» يهرب ومعه الشريط المسجل ويبيت ليلته فى الفندق الذى يعمل به وأطمأننت عليه الآن هاتفيا.. وسأذهب إليه بعد قليل فى مسكننا.. وأرجو أن أراه سليما.. فلدينا عملية أخرى بعد ثلاثة أو أربعة أيام فى روما.. وهى أشد خطورة من العملية التى نفذناها بالأمس.. لأن مسرح العملية الجديدة غريب عنا ولا نعرف عنه شيئا وتفاصيلها سنتلقاها من ساعى البريد غدا أو بعد غد..

وسكتت «شيرين» وأمالت رأسها إلى الخلف كأنما ألقت عن كاهلها عبئا ثقيلا كانت تئن تحته.. وغمضت عينيها كمن يريد إغفاءها بعد سهر طويل وقالت للدكتور حسام:

لقد حدثتك عن كل شيء فتحت لك كتاب حياتى لتقرأ كل صفحاته بما فيها من أبيض وأسود.. لم أخف عنك شيئا وأرجو أن تكون مصدقا لكل كلمة أقولها لك.. فما ظنك بى؟ وما رأيك فى؟.

لقد سلمتك زمام عمرى فما حدثتك به جد خطير لا يمكن أن يبوح به إنسان لآخر.. فيه تتعلق حياته ومستقبله.. وثقتى أنك أمين على سرى ونظر إليها الدكتور «حسام» بين مصدق وشاك فيما روته وقال لها غفر الله لك فيما أسلفت وأعانك على ما أنت فيه.. إنك وطنية تستحقين التمجيد وكونى حذرة فيما تقدمين عليه فهذه أمور شائكة تحتاج إلى مهارة وخبرة وسرعة تصرف.

وردت «شيرين» بأنها تدربت على يدى كل من إسرائيل ومصر واكتسبت مع أخيها خبرة لا بأس بها فى هذا الميدان.

واستأذنت للذهاب إلى أخيها فى حجرتهما على أمل اللقاء به بعد ذلك.

ووجدت «أحمد» فى انتظارها قلقا مضطربا ودخلا حجرتهما وأغلقا

على نفسيهما الباب وسألته فى همس وهى تتلفت فى خوف كأنها تخشى من الحيطان أو قطع الأثاث عن أصبع الروچ.. وأين هو؟.

فقال لها: لقد أخفيته فى مكان أمين بالفندق لا يعلمه أحد سواى لأننى خشيت من مطاردتى بعد خروجى من الفندق وأحسست أن هناك من يراقبنى وسآخذه قبل سفرنا إلى روما مباشرة لنسلمه إلى الشخص المحدد حسب توجيهات المخابرات المصرية.

واستراحا قليلا.. واستبدلا ملابسهما وذهب كل منهما إلى كليته فلم يبق على تخرجهما إلا شهور قليلة وينهيان دراستهما فى ميونيخ.

ثم يودعانها بعد ذلك.

شــك وتربـــص

فى مكان هادئ فى إحدى ضـواحى «ميونيخ» داخل مـزرعة صـغيرة منعزلة تحيطها أشجار الكريز من كل جانب.. جلس مستر (م) كما يسمى نفسه على مكتب فخم عليه بعض الأوراق وجهاز الراديو وعدة تليفونات متعددة الأشكال والألوان.

إنه الرئيس السرى لإدارة مكافحة الجاسوسية الإسرائيلية.. وهو متوسط العمر قوى البنية يشع من عينيه ذكاء ومكر.. وحركاته الكثيرة توحى بالقلق والتوتر.. يقرأ أحيانا فى بعض الأوراق وينصرف عنها لحديث تليفونى يطول أو يقصر حسب أهمية الحديث وقيمته.. وبعد فترة قصيرة يدخل بعض الرجال من ذوى السحنات المختلفة منهم الملتحى أو حليق الذقن ومن توحى سحنته بأنه شرقى أو غربى .. إنه اجتماع المجلس الأعلى لإدارة مكافحة الجاسوسية وهو يضم أفضل العناصر فى جهاز المخابرات الإسرائيلى.

وبعد فترة صمت يقول مستر (م) موجها الحديث لرجاله:

إننا خسرنا معركة كبيرة فى مجال عملنا وقيادة الموساد غاضبة أشد الغضب لما حدث وسيترتب على هذا نتائج سيئة بالنسبة لنا جميعا.. فقد استقر فى ذهنهم أننا فشلنا فى قضية مهمة حرصت إسرائيل عليها كل الحرص.

واتخذت لها هذا المكان فى «ميونيخ» حتى تكون إلى حد ما بعيدة عن الأنظار.

فعلى الرغم من كافة الاحتياطات التى اتخذت تمكن عملاء الأعداء من التسلل إلى مقر إدارة المخابرات للبحث العلمى والكائن خلف عيادة طبيب الأسنان فقتلوا الأستاذ «كورد» واثنين من أعوانه واستولوا على

تصميمات الجهاز الذى أوشك أن ينتهى منه.. ولا توجد أية نسخة أخرى من تلك التصميمات.

لم يكن لدينا شك فى أمانة المكان وسريته ولكن الأستاذ «كورد» تأخر عن الاتصال بنا وأرسلنا إليه بعض رجالنا فى آخر الليل فوجدناه ميتا مع مساعديه ولم نجد أثرا لتصميماته.. فإما أنها أخذت أو صورت ثم أعدمت.

ويبدو أن خطة قتلهم كانت محكمة سريعة ولم نجد أثرا ماديا يحدد شخصية الفاعل.. إلا أنهم ماتوا مختنقين نتيجة لغاز سام تسرب إليهم فقضى عليهم سريعا دون أثر لأية مقاومة.. فكل شىء فى المكان يبدو طبيعيا حتى أننا لم نجد أثرا لرصاصة واحدة.

وأغلق طبيب الأسنان عيادته لفترة ما بحجة إجراء بعض الترميمات ولكننا فى الحقيقة نريد مراجعة حساباتنا ونقاط الضعف التى أوصلتنا إلى هذه الكارثة.

وقال أحد الحاضرين: ألم تكن هناك حراسة على عيادة الطبيب.

فرد عليه: توجد حراسة ولكن يبدو أن الفاعل أحسن اختيار التوقيت ويعرف بعض رجالنا فراقبهم وبعد انصرافهم نفذ العملية فى سرعة قبل أن يمر آخرون.. ولم يبتعد رجالنا أكثر من ساعة هو الوقت الذى تمت فيه العملية.

وقال آخر: وهل تحددت شخصية الفاعل.

فأجابه: هناك عدة احتمالات ونضع بعض الأشخاص فى دائرة الاتهام لأن الفاعل لابد وأن يكون على علم بالعيادة وبابها السرى وطرقاتها والموعد الذى يحضر فيه الأستاذ «كورد» وينصرف.

وكان مستر «م» يتحدث ويعرض شريطا سينمائيا يصور الأستاذ «كورد» ومساعديه ومكان عمله وأبحاثه.

ثم عرض صورا لبعض الأشخاص الذين يشك فى قيامهم بتنفيذ

العملية حتى جاءت صورة «شيرين» وأخيها «أحمد» فتوقف عندهما قليلا وهو يقول:

إننى أرجح أنهما اللذان نفذا العملية.. فهما كانا عميلين لنا ومازالا إلا أننا بدأنا نشك أخيرا فى أنهما عميلان مزدوجان من ملاحظاتنا الدقيقة لتصرفاتهما والتقارير التى وصلتنا عنهما من بعض عملائنا فى مصر.

وأخبار «شيرين» لم تعد دقيقة وفيها بعض التمويه ولم تعد تجالس صديقتها المالطية كثيرا ومالت إلى التحفظ معها فى الكلام.. وتلتقى كثيرا بالدكتور «حسام» العالم المصرى الذكى وهو معروف لكم وكذلك الوضع بالنسبة لأخيها «أحمد».

وتأكد لدى أنهما لم يبيتا فى مسكنهما فى تلك الليلة فأين كانا إذن مع أنهما لم يتعودا المبيت فى الخارج وبالذات «شيرين»..

وهدفنا الآن هو مراقبة هؤلاء جميعا.. فمن تأكدنا من خيانته أحضرناه هنا لانتزاع المعلومات منه.. وإلا قتلناه فورا..

وقال آخر: وما وضع السائق «مانيلا» ودوره؟

فرد عليه مستر «م» سأقول لك فيما بعد.. لأننا نستبقيه الآن ليحدد لنا تنقلات «شيرين» و«أحمد».

وقال واحد من الموجودين: المعلومات التى لدينا أن «أحمد» قضى ليلته فى الفندق بعد الحادث وكانت معه «سارة» فى حجرته وانصرف فى الصباح بحقيبته الصغيرة التى تحتوى على مسدس وكاميرا دقيقة وجهاز واقٍ من الغازات .. والشىء المثير للدهشة وجود أصبع روج فى حقيبته على غير ما هو مألوف.

وصاح مستر «م» : هنا السر فمن المألوف أن يكون لدى الإنسان كاميرا أو مسدس ولكن من غير الطبيعى أن يكون معه أصبع روج ينتقل

به.. ولابد من الحصول على هذا الأصبع حتى لو أدى الأمر إلى قتل «أحمد» إن لم يمكن انتزاعه منه.

أما الجهاز الواقى فهو يؤكد اتصاله بقتل الأستاذ «كورد» لأنه مات بغاز سام يحتاج فيه الفاعل إلى مثل هذا الجهاز.. ومن المهم أن نعرف من معه ومن الذين يعاونونه حتى نضع أيدينا عليهم جميعا.. فليس المهم هو وشقيقته فقط بل بقية رجال المخابرات المصرية فى ميونيخ.

وقال آخر: ولم لا نفكر فى جماعة «أوكراف» قبل أن نشك فى بعض عملائنا.

إنهم لا يكفون عن الحركة وربما علموا بطريقة أو بأخرى باختراع الأستاذ «كورد» فأرادوا الحصول عليه ليبيعوا لمن يدفع لهم ثمنا أكثر وسوابقهم فى هذا كثيرة فهم يسرقون من بلد ليبيعوا لبلد آخر، أو يسرقون من شخص فى بلد ليبيعوا لنفس البلد..

وقال مستر «م» : إننى لا أبعد هؤلاء عن تفكيرى وأراقب من هم أخطر شأنا إنهم الروس الذين ينبث عملاؤهم فى كل مكان للحصول على التكنولوجيا الغربية ومحاولة الوصول إلى كل شيء جديد ليستفيدوا منه ويتخذون أسلوب «أوكراف» فى العنف وسفك الدماء وأخذ ما يريدون بأى ثمن ويحرصون على ألا يكونوا أقل شأنا وعلما من جميع دول أوربا.

إننى مسافر إلى جزر باهاما فى مهمة لا يعرفها أحد غيركم وسأوافيكم بتعليماتى يوما بعد يوم بل ساعة بعد ساعة وعليكم تنفيذها بدقة مع مراقبة كل ما يجرى هنا.

بعد يومين من تنفيذ العملية الأولى جاء ساعى البريد يحمل مظروفا متوسط الحجم به تذكرتا سفر إلى روما فى الساعة السابعة من مساء اليوم التالى ومعهما قصاصة صغيرة من الورق وفيها .. أن رجلا سينتظرهما بالمطار وذكر لهما علاماته وكلمة السر وهو يعرفهما وإن كانا لا يعرفانه وسيشرح هناك ما يجب عمله وعليهما أن يتبعاه من بعيد دون أن يثيرا أى شك.

ومزقت «شيرين» قصاصة الورق وأحرقتها بعد أن حفظت محتوياتها..

وفى ظهر اليوم المحدد للسفر أخبرها «أحمد» بأنه سيذهب إلى المطار من الفندق مباشرة وسيكون معه أصبع الروچ.. وسيحضر لها «مانيلا» بالسيارة ليوصلها إلى المطار.

واستعدت «شيرين» للرحلة فأخذت القليل الذى يلزمها فلن تغيب أكثر من يومين.. وانتظرت وصول «مانيلا».

وفى الساعة الخامسة والنصف سمعت صوت كلاكس السيارة فنزلت بسرعة لتركب مع «مانيلا» حتى تلحق بالطائرة فى موعدها.. كان الظلام يغطى المنطقة والضباب يخيم عليها فلا يرى السائر أكثر من خطوات قليلة أمامه ولاحظت أن المصباح الكبير الذى يضيئ مكان وقوف السيارة لـ«مانيلا» مطفأ.

واتجهت نحو السيارة مباشرة.. كان الباب الخلفى مفتوحا لدخلوها ووضعت قدمها فى الداخل فإذا بها تجد من يشدها نحوه بعنف وشخص آخر يقف بعيدا يقبل مسرعا ويجلس بجوارها من الجانب الآخر ويغلق الباب وتنطلق السيارة.. وفى مقعد القيادة يجلس رجل ثالث لا تعرفه

و«مانيلا» ملقى على الكرسى المجاور للسائق والدماء تنزف من صدره وهتفت فى فزع «مانيلا».. ولكنه لم يرد عليها لأنه فارق الحياة.. قتلوه برصاصة من مسدس كاتم للصوت أثناء انتظاره «شيرين».

وسمعت صوت الرجل الذى يجلس يسارها يهتف للسائق اتجه للمكان المحدد يا «إيفان».. ولم تبتعد السيارة كثيرا حتى لاحظت «شيرين» سيارة أخرى تتبعها وتحاول اللحاق بها وتكاد السيارتان أن تحتكا ببعضهما ومن الواضح أن كلا منهما تتربص بالأخرى.. وأن السيارة الثانية كانت فى انتظار «شيرين» أيضا.. وكلا منهما تريد الحصول على شىء ما من «شيرين» وتتمنى الظفر به قبل الآخر.

وفى طريق يكاد يخلو من المارة استعمل الرجال المسدسات وانطلقت بضع رصاصات من السيارة الخلفية جاوبهم عليها رجال السيارة الأولى وارتمت «شيرين» إلى أسفل حتى تبتعد عن مرمى الرصاص المنهمر.. وفهمت من حديث الرجال الثلاثة الذين معها أنهم روس فهى تعرف أشتاتا قليلة من اللغة الروسية وأحست أنهم يشعرون بالخطر المحدق بهم فالسيارة الثانية أكثر حداثة وقوة ومهيأة لمثل هذه الظروف.

وفى لحظة حاسمة أمر الرجل الذى يجلس بجوارها من اليسار ويبدو أنه قائد المجموعة زميله الثانى بأن يأخذ حقيبة «شيرين» وينزل بسرعة حينما تبطئ السيارة وسلمته «شيرين» الحقيبة بهدوء فليس فيها ما تخاف عليه وحمدت الله أن أصبع الروج ليس معها بل مع «أحمد».. وما أن نزل «ميخائيل» - وهذا اسمه - من السيارة حتى عاجله المطاردون برصاصة ألقته على الأرض والدماء تنزف من رأسه بغزارة ولم تسمع منه غير صرخة خافتة.

ولا شك أن السرعة القليلة التى سارت بها سيارة الروس أعطت للسيارة المطاردة فرصة التفوق والحركة وانطلقت رصاصة أخرى أصابت السائق «إيفان» إصابة قاتلة فتأرجحت السيارة قليلا ومالت يمينا ويسارا

واصطدمت بعمود إضاءة وتوقفت.. ونزل الرجل الذى يجلس على يسارها ومعه مدفع رهيب كان يخفيه تحت قدميه وأطلق منه قذيفة مدوية فاشتعلت السيارة المطاردة وأصيب هو من أحدهم فسقط على الأرض والمدفع بجواره. ووجدتها «شيرين» فرصة سانحة فخرجت من السيارة بسرعة واختبأت على بعد أمتار خلف صندوق كبير للقمامة ولم تأبه للدماء التى نزفت من ذراعها بعد رصاصة طائشة أصابتها.. وسمعت صوت سيارة الشرطة فخرجت من مخبئها لتشاهد سيارة محطمة وأخرى محترقة وجثث مجموعة من الرجال ملقاة على الأرض.. وتركت رجال الشرطة يمارسون عملهم وسارت فى هدوء كإنسانة عادية تمر فى الشارع حتى لا تثير نحوها شبهة ما وكتمت آلام ذراعها والدم الذى ينزف منه.

ولم يكن فى الحقيبة التى انتزعت منها ما يدل على شخصيتها فالتذاكر وجواز السفر أخذهما «أحمد» معه ضمانا للأمن وخيرا فعل.. وما بقى لا يدل على شخصيتها من قريب أو بعيد فهو لا يزيد عن قليل من الملابس النسائية العادية التى تكون فى حوزة أية امرأة.

وعندما ابتعدت عن مكان الحادث استقلت تاكسيا إلى المطار وكان موعد الطائرة أوشك ولم يبق على إقلاعها سوى دقائق.. و«أحمد» يقف على الباب الخارجى فى حيرة وقلق وخوف..

وعندما نزلت «شيرين» من التاكسى شدها من يدها بسرعة دون أن يسألها عن شىء حتى يلحقا الطائرة وسحبت يدها الجريحة منه.. وشاهد آثار دماء جافة على قميصها متناثرة هنا وهناك وركبا الطائرة فى اللحظات الأخيرة قبل إقلاعها إلى روما.. وبينما كانت الطائرة تحلق فى الجو روت «شيرين» لـ «أحمد» كل ما حدث.. ولم يخف على «أحمد» انفعالها وألمها والدموع الحزينة التى تترقرق فى عينيها ولا تريد أن تنحدر فى صلابة وكبرياء.

وتركها «أحمد» مع نفسها قليلا فى محاولة لتجمع فكرها المشتت المبعثر واستعرض هو كل ما حدث وتيقن أنهما مستهدفان من جهات متعددة ولابد أن حقيقتهما بدت تظهر للبعض.. وقرر أن يعتذر عن أية عملية أخرى بعد العملية القادمة استعدادا لأداء الامتحان الأخير فى ميونيخ.

وراحت «شيرين» فى إغفاءة نتيجة للأحداث التى مرت بها والتوتر الذى عانته والجرح السطحى الذى فى كتفه، وبقدر ألمه لما حدث بقدر سعادته لنجاة «شيرين» وعدم وجود ما يدل على شخصيتها فى الحقيبة التى انتزعت منها ومصرع الجواسيس بأيدى بعضهم البعض وسلامة كل شيء أعده وحصل عليه.

وهبطت الطائرة فى مطار روما ونزلت «شيرين» متحاملة على نفسها ومتساندة على «أحمد» وسارا ببطء وقبل خروجهما اقترب منهما رجل أنيق يلبس كرافتة مرسوم على جانب منها تمثال «أبو الهول» وقال لهما: أبو الهول يحييكم وينتظركم على مدخل فندق المطار بعد نصف ساعة.. ونظر فى ساعته ثلاث مرات وتركهما وانصرف.. وبعد أن أنهيا إجراءات الخروج.. استقلا تاكسيا إلى فندق المطار ونزلا أمامه فتقدم منهما شيال يريد حمل حقيبة «أحمد» فقال له: إنها خفيفة لا تحتاج إلى من يحملها.

فقال له الشيال فى همس: حجرتكما المحجوزة خمسمائة وخمسون وسيأتيكم العشاء بعد نصف ساعة.

وأخذا مفتاح الحجرة وصعدا إليها وذهبت «شيرين» إلى الحمام فنظفت جرحها ووضعت عليه بعض المسكنات أحضرها لها أخوها.. ولبست بيجامته وأزالت آثار الدماء من فوق ملابسها.

وجلسا فى انتظار طعام العشاء.. وبعد نصف ساعة تماما حضر العشاء فتناولاه وجاء العامل فجمع بقايا الطعام.. وقال لـ«أحمد»:

انتظر «أبو الهول» بعد قليل.

وبعد فترة ليست بالطويلة سمعا ثلاث نقرات على الباب دون استعمال الجرس وهو رمز متفق عليه.. ودخل الطارق فإذا هو الرجل الذى قابلهما فى المطار وجلس قليلا ثم أخرج من جيبه جهازا يكتشف أجهزة التجسس فى الحجرة وأداره هنا وهناك حتى إذا ما اطمأن تماما قال لهما: اسمعا ما أقوله لكما ونفذا كل كلمة وحركة فيه بدقة ولا مجال لحدوث خطأ ما فوقوعه يؤدى إلى كارثة وستسلم الأصبع إلى مسئول المخابرات المصرية فى نابولى التى ستسافران إليها بعد غد بطريق القطار ومنها تعودان إلى ميونيخ بالطائرة فلا تسافرا وتعودا من مكان واحد.

وعملية اليوم تتلخص فى الآتى:

سيقام مساء غد عرض أزياء شارع الفاتيكان رقم ٢ الدور الأول.. هو فى ظاهره معرض لرجال الدين من مسيحيين ويهود ولكنه فى حقيقته أكبر مركز فى أوربا للمخابرات الإسرائيلية وفيه يلتقى المسئولون جميعا من اليهود تحت أزياء دينية يهودية أو مسيحية للتمويه وفيه تصب كل المعلومات التى تأتى من جميع أنحاء العالم.. وتوزع التعليمات والإرشادات.

وللخداع أيضا يقام المعرض ويشاهده الكثيرون من رجال الدين بعضهم عن علم والآخرون عن جهل بحقيقته.

وسيحضر موديلان فتى وفتاة يعرضان ملابس الكهنوت والراهبات وغيرهما وسيكون حضورهما قبل موعد العرض بقليل، وستحلان مكانهما لأن منظرهما غير معروف تماما للمسئولين هنا.. وستتدربان منذ صباح غد فى شقة خارج الفندق على كيفية ارتداء أزياء رجال الدين والطريقة الصحيحة للعرض.. وسيكون معكما أجهزة دقيقة لتصوير جميع الحاضرين تربط فى أذرعكما تحت الملابس الدينية الفضفاضة.. وفى

فترات تغيير الملابس تتجولان داخل المكان فتعرفان كل ما فيه وتقرآن وتصوران ما تجدانه لأن الجميع سيكونون مشغولين عنكما بالتظاهر برؤية الملابس الموجودة لأن اجتماعهم سيبدأ بعد العرض مباشرة.. إن هذه العملية مهمة للغاية عليها تتوقف أمور كثيرة لصالح مصر وقد وقع عليكما الاختيار لتقارب الشبه بينكما وبين الفتى والفتاة عارضى الأزياء.

وضحكت «شيرين» وهى تتخيل نفسها فى ملابس راهبة يهودية و«أحمد» فى ملابس سوداء لميعة قاتمة مثل ملابس اليهود وعلى رأسه الطاقية الصغيرة التى تلتصق بهامة رأسه فقط.

وأعطاهما العنوان الذى سيذهبان إليه فى صباح الغد وتركهما وانصرف مؤكدا ومشددا على كل كلمة قالها لهما.

وقضيا ليلتهما فى الفندق فى ترقب وقلق يفكران فى عملية الغد ويدبران ويخططان وبين لحظة وأخرى تقوم «شيرين» وتنظر إلى نفسها فى المرآة متخيلة الزى الذى ستلبسه بعد ساعات فتضحك لحظة وتنقبض لحظة وتتشاءم لحظات آخرى سريعة بعد تفكير عميق.

ومضى الليل طويلا بطيئا لم يذوقا خلاله النوم إلا قليلا.

وفى الصباح وبعد تناول الإفطار أخذ «أحمد» حقيبته الصغيرة وفيها أهم أسراره وارتدت «شيرين» ملابسها التى غسلتها بالأمس واتجها إلى العنوان الذى حدد لهما.

ولم يكن المكان بعيدا عن الفندق فهو يقع فى بناية ضخمة أكثر شققها بنوك ومؤسسات تجارية.. والعملاء كثيرون فى حركة دائبة ما بين أوربيين وشرقيين ومن مختلف المهن وشاهدا بعض رجال الدين داخل تلك المؤسسات.. وربما لهذا السبب وقع الاختيار على هذا المكان حتى لا يثير شبهة أحد عند خروجهما بالزى الدينى إذا اقتضت الضرورة ذلك.

ووصلا إلى باب الشقة فدقّ «أحمد» على الباب دقة معروفة وفتح الباب فدخلاه بسرعة واستقبلهما رجل مصرى ومعه زوجته ورحبا بهما ترحيبا كبيرا وبث فى قلبيهما الاطمئنان فكل شىء فى سبيل مصر يهون.. إنهما يعملان فى إحدى المؤسسات التجارية الكبرى المخصصة لصناعة الملابس وبيعها..

وقضيا بقية النهار فى تدريبهما على عمل المانيكان وطريقة السير جيئة وذهابا وكيف يلبسان ويخلعان ويجب أن يتقمصا الدور تماما فكل ما فيهما يوحى بأنهما من عارضى الأزياء.

وصبغت «شيرين» شعرها باللون الأصفر ووضعت على عينيها عدسات لاصقة زرقاء فبدت كفتاة أوربية تماما.. وغير «أحمد» من تسريحة شعره مع مكياج بسيط جعل منه إلى حد ما شخصية مختلفة عن حقيقته.

وكان مع «أحمد» كاميرا دقيقة ومسدس صغير للضرورة.. ومع «شيرين» كاميرا وجهاز للتسجيل حساس لدجة كبيرة فهو يلتقط كل شىء على بعد بضعة أمتار.. وحضر فى منتصف النهار الرجل الذى قابلهما فى المطار وكما سمياه «أبو الهول».. لوجود صورة «أبو الهول» على جانب من رباط عنقه وترديدهما بنصائحه وتوجيهاته وأنه سيكون مع بعض رجاله بالقرب منهم وبطريقته الخاصة سيراقب كل تحركاتهم.

وأثناء وجودهما فى الشقة عرفا الكثير عن أسرار الجاسوسية وبأنها أصبحت علما له قواعد وأصول.

ولإسرائيل جهاز مخابرات قوى منتشر فى كل مكان وأماكن تواجده أحيانا لا تخطر على بال.. فهو فى عيادة طبيب كما فى ميونيخ أو فى معرض لأزياء رجال الدين كما فى روما أو فى ملهى من الملاهى.

إنهم يحرصون على الأماكن التى توجد فيها تجمعات من البشر بحيث يمكنهم اصطياد ضعاف النفوس وإيقاعهم فى الشباك المنصوبة.

واستطاعت مصر أن تعد جهازا للمخابرات تواجه به الجهاز الإسرائيلى وبالرغم من حداثته وُلد قويا، فإن العزيمة الصادقة والوطنية المخلصة والحفاظ على أمن مصر جعلته يثبت وجوده خلال سنوات قليلة.. ووجد لنا رجال فى كل أنحاء الدنيا وتسللوا إلى الأماكن التى لم يكن يخطر ببال إسرائيل أن أحدا سيصل إليها وقال وهو يضحك فى ثقة وإعجاب:

إننى أعلق أملا كبيرا على نجاح عملكما اليوم.. فهذا المركز من أخطر المراكز ونريد معرفة ما يدور فيه.

داخل المعرض

تحركت السيارة التى تقل «أحمد» و«شيرين» إلى مكان المعرض ومعهما مرافق المطار ولكنه ارتدى زيا غريبا كزى باعة الصحف والذين يوزعون المنشورات وملصقات الدعاية.

وبدا «أحمد» و«شيرين» فى شخصيتى المانيكان تماما.. ووصلت السيارة بالقرب من المعرض الذى يعرف السائق مكانه تماما ووقفت غير بعيد منه وفى ملتقى الطرق التى تؤدى إليه.

ونزل «أحمد» و«شيرين» ووقفا قرب السيارة ونزل الرجل الثالث ومعه بعض الأوراق يحملها فى يده بصورة مكشوفة بحيث يراها الجميع وبعد لحظات وصلت سيارة ونزلا منها فتى وفتاة يسيران فى خفة ونشاط كعارضى الأزياء ..وحينما اقتربا من سيارة «أحمد» و«شيرين» اتجه إليهما الرجل وحياهما فى لهجة إيطالية وابتسم لهما ابتسامة عريضة وقدم لكل منهما ورقة مما فى يده.. إنها أوراق دعاية لمعرض الليلة وفى الورقتين صورة الفتى والفتاة.

وقال: لقد وزعنا الآلاف من هذه الأوراق حتى يحضر معرضكما أكبر عدد من رجال الدين أو من يتاجرون فى ملابس الدين.. ولا شك أن هذا سيفتح أمامكما أبوابا كثيرة للعمل، وإدارة المعرض هى التى رتبت لهذه الدعاية وأنفقت عليها.

وأخذ الفتى والفتاة يقرآن الورقتين وهما سعيدان بما كتب عنهما ولم تمض لحظات على نظرهما فى الورقتين حتى ترنحا وكادا أن يسقطا فاتكآ على السيارة فى شبه إغماءة.

وبسرعة استعان الرجل بـ «أحمد» و«شيرين» والسائق فأدخلهما السيارة من بابها الخلفى وأشار الرجل أن يبقى «أحمد» و«شيرين» مكانهما حتى يعود إليهما.

وانطلق بالسيارة وهما لا يدريان ماذا يفعلان.. وبعد فترة ليست بالطويلة عاد الرجل على قدميه ولم تكن معه الأوراق الكثيرة التى شاهداها من قبل.

وأعطاهما أوراقا أخرى تؤكد أنهما عارضا الأزياء وموثقة من مكتب كبير فى روما متخصص فى إرسال العارضين المناسبين وبالمواصفات التى تطلبها بيوت عرض الأزياء وعليهما أن يطمئنا فكل شىء يسير على ما يرام.

لم يفهم «أحمد» و«شيرين» شيئا مما حدث واستجابا لكل ما طلب منهما فى صمت.. فمن التعليمات التى تلقياها عدم الأسئلة الكثيرة والإلحاح فى المناقشة.. فكل خطة توضع تدرس تماما ويجاب عن الأسئلة التى يمكن أن تثار حولها إجابات تضمن لها الأمان.

وسكت الرجل وقال لهما:

سأشرح لكما الموقف وإن كنتما فى غير حاجة إليه أو ضرورة أن تعلماه، إن الفتى والفتاة هما عارضا الأزياء الحقيقيان وعرفنا اسمهما وشكلهما من المكتب الذى أتيا منه بمساعدة أعواننا هناك.. ولم نتمكن من مقابلتهما والاتفاق معهما لأنهما كانا غائبين بعيدا عن روما ووصلا اليوم.

وكانت الخطة أن التقى بهما قبل دخولهما المعرض.. وأبعدهما عنه وصممتا ورقتين بهما صورتاهما ودعاية طيبة لهما، أما بقية الأوراق أسفل هاتين الورقتين فهى خالية ليس فيها كتابة أبدا.. وتخللت الورقتين مادة مخدرة.. ما أن يضغط الإنسان على بعض أطرافها حتى تنبعث منهما مادة غازية تجعلهما يغيبان عن الوعى.. وكما شاهدتهما فقد قرآ الورقتين ودخلا فى غيبوبة ونقلناهما إلى مكان بعيد وأخذت ما معهما من

مستندات والخطاب المرسل من المكتب برفقتهما حتى لا نثير أدنى شك نحوكما.

وسيبقيان فى المكان البعيد الآمن وعندما يفيقان من المخدر يكون موعد العرض قد انتهى فنعود بهما إلى نفس المكان مرة أخرى ونرد إليهما الخطاب والمستندات التى أخذناها.

ودهش «أحمد» و«شيرين» لهذا التدبير المحكم الذى ينم عن ذكاء وخبرة عالية ومقدرة وكفاءة لدى جهاز المخابرات المصرى.. وكيف أنه تمكن من تجنيد كثير من العناصر فى مواقع مختلفة وأكثرها عناصر ممتازة تؤدى عملها على الوجه الأكمل فى حيطة وحذر شديد وكتمان تام.

واقترب موعد العرض.. فقرأ «أحمد» و«شيرين» الفاتحة واستعانا بالله وتقدما نحو المكان فى ثقة وثبات.

وعلى الباب الخارجى شاهدا حارسا متجها نحوهما وصدهما عن الدخول واعترض طريقهما.. فأخرجا له خطاب مكتب المعارض والمختوم بخاتمه وموقع من رئيسه فنظر فيه طويلا وتأملهما وأذن لهما بالدخول واستقبلهما فى مدخل المعرض رجل ضخم الجثة قصير القامة بطىء الحركة.. أقرب ما يكون إلى رجال الدين المنحدرين من العصور الوسطى هو أقيونة تتحرك على الأرض.

وقدما له الخطاب فتأمله قليلا وقادهما إلى حجرة بها مكتب وبعض المقاعد القليلة وملابس كثيرة لرجال الدين معلقة فى مختلف أرجاء الحجرة.. وتفحصا الحجرة بإمعان.. وقالا له: إننا نريد أن نشاهد جميع الحجرات وكل الموديلات المعروضة حتى نختار أنسبها فى العرض الأول وما يليه وأكثرها إثارة وتشويقا للمشاهدين.

وسكت الرجل الضخم قليلا وكأنه اقتنع بوجهة نظرهما.. فأرشدهما إلى مختلف الحجرات وحدد لهما الموعد الذى سيظهران فيه ثم تركهما وانصرف.. وكانت فرصة ذهبية لـ «أحمد» و«شيرين».. فراحا يتجولان فى المكان كل واحد منهما فى جهة.. فهو فسيح به عدة حجرات أكثرها ممتلئ بالملابس الجاهزة أو الأقمشة المعدة للتفصيل.. وفى نهاية الممر شاهدا بابا صغيرا مغلقا لا يدل على أن وراءه شيئا فدفعه بيده فانفتح ورأى خلفه سلما حجريا عتيقا نزل عليه فى حذر فإذا به يؤدى إلى شقة فاخرة كاملة التجهيز ودخل أول حجرة منها فرآها تشبه حجرات رجال الأعمال.

مكتب فخم وأوراق ومستندات وآلة للتصوير وعدة تليفونات وأجهزة متعددة بعضها يعرفه والآخر يجهله وعمل آلة التصوير التى معه فى سرعة.

لتصوير كل شىء يشاهده ونظر فى بعض الأوراق فصورها دون أن

يعرف مضمونها وهكذا فعل فى الحجرتين الباقيتين فقد اكتسب خبرة من عملية طبيب الأسنان.

وكانت «شيرين» تقوم بنفس المهمة فى الحجرات الباقية.

وخشى «أحمد» أن يطول بقاؤه هنا فيشك أحد فى غيبته.. وصعد إلى الحجرات التى توجد بها الملابس.. فوجد «شيرين» قادمة من الجهة الأخرى تبتسم وترفع أصبعيها علامة النصر.

واختار «أحمد» زيا دينيا جميلا يناسب الشباب من رجال الدين فلبسه وبدا فيه كملاك يتشح بالسواد وكذلك فعلت «شيرين» وأظهر اللون الأسود جمال بشرتها البيضاء كصورة أبدعتها يد فنان ودق الجرس الأول ليستعد العارضان بعد وقت قليل.

وفى خارج المعرض تقف السيارة المصرية تراقب كل شيء.. بينما مجموعات من السيارات الفارهة من مختلف الماركات تصل إلى المبنى وينزل منها كثير من الرجال الذين يرتدون الزى الدينى وأكثرهم من رجال الدين اليهودى المنتشرين بلا هوية وبلا وطن فى كل أنحاء العالم.

وحضر بعض القساوسة من رجال الدين المسيحى كبارا وصغارا.. وكان من بين الموجودين بعض الراهبات أو من يمارسن العمل الكهنوتى.. وبين هؤلاء من حضر لمجرد الفرجة وامتاع النظر والترويح عن النفس وقضاء وقت الفراغ فالمعرض فى حد ذاته فكرته غريبة وليست مألوفة فى المجتمعات الغربية.

لأنه يعرض لونا خاصا من الموديلات تختص برجال الدين.. ولا شك أن وجود الفاتيكان في روما ساعد على ازدهار هذا اللون من المعارض وربما لا يوجد معرض آخر فى روما غيره.. وجلس المشاهدون فى صفوف طويلة متراصة تتوسطها منصة عالية بطول المكان وفرشت بسجاد فاخر كلاسيكى الطراز داكن اللون.. ولو تأملت المكان لخيل إليك أنك تجلس

فى معبد وكنيسة التقيا معا ليودعا راحلا إلى العالم الآخر ولم يبق غير سماع التراتيل والألحان الجنائزية وكأنك تعيش فى جو كودالى وموسيقى كراقصات البالية والجو الهادئ وكأنك ترى فراشات بيضاء جميلة عائدة من السماء والزخارف تنير كل مكان وفى هذا الجو البديع القرمزى الجميل.

وكل الأفراد مشغولة وفى وسط هذا الحشد الهائل نرى الكل ينظر إلى الآخر فى صمت ويتأمله فى حذر ويراقبه فى شك ويضع «أحمد» و«شيرين» ما معهما تحت الملابس الدينية الفضفاضة فلا يتركان شيئا يخصهما فى الداخل أو يشير من قريب أو بعيد إلى شخصيتهما.

ويدق الجرس الثانى معلنا بدء العرض.

فتتقدم «شيرين» وتسير فى وقار ورزانة لتعطى جوا تمثيليا لدور المتدينة التى تعرض ملابسها وقد أتقنت الدور وأجادته.. فقوبلت بعاصفة من التصفيق.

وكذلك فعل «أحمد» فى دور الراهب أو رجل الدين الشاب.. وقوبل بإعجاب كبير ولا سيما من النساء اللاتى حضرن له لمجرد المشاهدة فقط وأثرت وسامته ورجولته على جميع المشاهدين..

وتكرر العرض عدة مرات للأزياء المختلفة والملابس المتباينة والتى بعضها يلبس فى الشرق أو فى الغرب.

واستطاع العرض أن يستحوز على إعجاب المشاهدين.. وأحس المشرفون أنهم نجحوا نجاحا كبيرا بفضل هذين العارضين الممتازين فى عملهما.

وبقى العرض الأخير وفيه يرتديان ملابس رجال الدين من الباباوات أو الأحبار الكبار.. وهذا العرض يحتاج إلى وقار لأنه يمثل أعلى قمة فى المناصب الدينية.

وجلس «أحمد» و«شيرين» يستريحان قليلا ويستعدان للجولة الأخيرة وهما سعيدان بما حققاه.

كانت «شيرين» تفكر فى الدكتور «حسام» وهل اقتنع بما قالته له.. إنها ارتبطت به ارتباطا عاطفيا وملأ عليها حياتها وستغادر ألمانيا بعد انتهاء دراستها فلم يعد لها مكان مأمون هنا مع أخيها.

واستعاد «أحمد» فى ذاكرته فكرة جعلته يهب واقفا من مكانه مما أثار انتباه «شيرين».. وجعلها تنظر إليه فى دهشة.. فما أقرب الشبه بين مكان هذا العرض والمكان الذى حدثته عنه «سارة».. معرض الملابس الدينية والحجرات الصامتة التى تشبه الكنائس.. والأثاث القديم المنحدر من العصور الوسطى وصور الملوك والأباطرة السابقين.. حتى ملامح صاحب المعرض تكاد تشبه ملامح «أوجستو» التى رسمتها له «سارة».. أيكون هو أم أنه معرض آخر.. وإذا كان هو فأين «سارة» ؟ ربما لم تحضر من باريس كما قالت .. وهل هى عميلة..؟.

وصرف عن ذهنه هذا الخاطر فلم يبق أمامه غير ساعة ويغادر المعرض إلى غير رجعة.

وتأكد هو و«شيرين» من إخفاء الصور تحت ملابسهما وكذلك الكاميرا ووضع «أحمد» مسدسه فى رباط بين فخذيه ليتمكن من انتزاعه عند الضرورة.. لأنهما سيغادران المكان بعد انتهاء العرض مباشرة حيث تنتظرهما السيارة فى الخارج..

ودق الجرس معلنا بدء العرض الاخير.. وسار «أحمد» فى وقار البابوات والأحبار يرتدى زيا دينيا جميلا محلى بالقصب وخيوط الذهب وعليه نقوش دينية تنم عن ذوق رفيع لمصممه.. ولم يخالف الزى فى صورته العامة الحدود المعروفة لملابس رجال الدين..

وجاءت من خلفه «شيرين» فى وقار وسكينة أثارت انتباه الجميع وعليهما أن يعودا مرة أخرى قبل أن ينصرفا فنظام العرض يقتضى المرور أمام الجالسين مرتين.

ونزل «أحمد» و«شيرين» واستعدا للجولة الأخيرة ثم ينتهى هذا العرض.. وسار «أحمد» ومن خلفه «شيرين» بنفس الوقار والسكينة التى

بدأ بها العرض وأنظار المشاهدين تتعلق بهما فى انبهار وإعجاب.. وقبل أن يصل «أحمد» إلى نهاية منصة العرض حدثت المفاجأة التى تخيلها.. ولم يتوقعها.. وجد أمامه «سارة» تتأمله فى دهشة .. ولم يستطع الماكياج أو الملابس الدينية أن تخفى حقيقته عنها فصعدت إليه واتجهت نحوه مباشرة وصاحت أنت «أحمد» وأمسكت به فى حركة أثارت اضطراب ودهشة المشاهدين واستطاع أن يتخلص منها بدفعة قوية ألقتها على الأرض.. ولكنها نهضت سريعا وجذبت ملابسه وهى تردد اقبضوا عليه إنه عميل.. وأصبح كل منهما يجرى وراء الآخر.. وقالت:

إننى وجدتك ولن تفلت من يدى.. إن كل الأسرار معه أقبضوا عليه لا تدعوه يهرب..

خرجت هذه العبارات سريعة متلاحقة من فمها فى ثورة وهيسترية ووقف معظم الجالسين هنا وهناك.

إنها مفاجأة لم يتوقعها أحد وشلت تفكير الجميع.. فلم يحسن أحدهم التصرف واختلط الناس بعضهم ببعض.

وانتهز «أحمد» هذه الفرصة فدفع «شيرين» نحو باب الخروج لتتمكن من الهرب وشاهد حارس الباب مقبلا بسلاحه و«سارة» متعلقة بملابسه لا تريد الإفلات منها.. فأخرج مسدسه بسرعة.. لأن الموقف لم يعد يحتمل الانتظار وأطلق رصاصة على الحارس ألقته صريعا.. وضرب «سارة» بقدمه ضربة أبعدتها عنه وعاجلها برصاصة أخرى اسكتها فقد جرحت أسفل منصة العرض.. وشاهد «أوجستو» مسرعا نحوه يتعثر على الأرض فأطلق عليه رصاصة.. وكانت «شيرين» تمكنت من الإفلات والفرار إلى الخارج فأسرع «أحمد» خلفها مطلقا النار على كل من يقف فى طريقه.. وأسرع خلفه جواسيس إسرائيل المتخفون فى زى رجال الدين.. وراحوا يطلقون النار فى كل اتجاه حتى أصاب بعضهم بعضا.

واقترب «أحمد» من خيط الكهرباء الذى يغذى المعرض والممتد من الكابل الأساسى فى الخارج فأطلق عليه رصاصة قطعته.. وساد الظلام

المكان فلم يعد أحد يشاهد الآخر.. وأسرع نحو باب الخروج بعد أن اصطدمت قدماه أكثر من مرة فى قتلى أو مصابين.

وسمع رجال الشرطة خارج المبنى أصوات الرصاص فدخلوا مسرعين وقابلهم «أحمد» على الباب بعد أن أخفى مسدسه فاستوقفوه وسألوه عما يحدث فأجابهم فى وقار رجل الدين دون أن يبدو عليه الاضطراب بأن بعض السكارى أفسدوا هذا العرض الدينى الجميل وأطلقوا نيران مسدساتهم تعبيرا عن إعجابهم فأصابوا أسلاك الكهرباء التى سقطت فعم الظلام.. إنهم ثلاثة أو أربعة أفرطوا فى الشراب.. وعليكم يا سيدى سرعة القبض عليهم ولم أعد أطيق البقاء فى جو يخيم عليه السكر والعربدة.. قال ذلك فى الإنجليزية سريعة.. ولم يترك لهم فرصة لمعاودة الحديث معه فانسل إلى الخارج سريعا.. وساعده رداؤه الدينى الوقور الذى يمثل الباباوات الكبار على عدم إيقافه أو اللحاق به..

وحددت السيارة التى تنتظره مكانها بإضاءة متقطعة عدة مرات كما هو متفق عليه.. فذهب إليها مسرعا ووجد «شيرين» جالسة فى المقعد الخلفى فى حالة سكون واستسلام تام كأنها نائمة.. ويجلس بجوار السائق الرجل المصرى فى حالة من الترقب والاستعداد، وانتابت «شيرين» فرحة غامرة حينما شاهدت أخاها مقبلا.. فراحت تضمه وتقبله ودموعها تنحدر على خديها وصوتها مكتوم من التأثر والانفعال.. وانطلقت السيارة بعيدا عن مكان المعرض ومازالوا يسمعون أصوات الرصاص تنبعث من داخل المكان وعربات الشرطة تسرع من كل اتجاه ومن خلفها سيارات الإسعاف.

ووصلوا إلى الشقة التى قضوا فيها نهار اليوم.. فدخلا إليها فرادى وسط زحام المترددين على الشركات والمؤسسات..

خلع «أحمد» و«شيرين» ملابسهما الدينية وارتديا زيهما العادى..

وتخلصا من الملابس الدينية بإحراقها.. فعلى أطراف منها نقاط من الدم وتمزق نتيجة لشد «سارة» لثوب «أحمد».. أزالا ما صنعاه من مكياج ليخفيهما عن العيون.

جلس «أحمد» و«شيرين» مع أصحاب الشقة ورجل المطار الذى كلف سائقه بإطلاق سراح الفتى والفتاة المحتجزين.. وبعد تناول وجبة خفيفة للعشاء قدم «أحمد» تقريرا شفهيا عن كل ما جرى داخل المعرض وأخرج ما معه من تسجيلات دقيقة بالصوت والصورة ومع «شيرين» ووضعت فى أصبعين مفرغين من أصابع الروج الأحمر احتفظت «شيرين» باثنين و«أحمد» بالثالث.

وقال: لولا «سارة» لتمت العملية بنجاح ولكنها ظهرت فى اللحظة الأخيرة فأفسدت سرية الخطة وعرفتهم حقيقتنا.

فقال رجل المطار: كانوا سيعرفون بعد إطلاق سراح الفتى والفتاة ويتأكدون أن العارضين لم يكونا سوى جاسوسين.. ولم تخف علينا أبدا حقيقة «سارة» فنحن نعرف وظيفتها ونتابعها كعميلة إسرائيلية نشطة تواكل إليها كثير من المهمات الخطيرة.. وأردنا أن ننبهك إلى حقيقتها وتباطأنا لتدرك بنفسك حقيقتها ولكنها لم تغب عن عيوننا أبدا.. وأكثر أفراد أسرتها عملاء إسرائيليين ومعرضهم فى حقيقته مركز للتجسس لأن هذه الأسرة يهودية الأصل هاجرت من ألمانيا واستقرت فى روما وأعد لهم الموساد هذا المعرض ليكون مركزا لهم تحت شعار معرض للملابس ولاسيما رجال الدين.. وهو فى حقيقته غير ذلك.

ولكن هل عرفت من أطلقت عليهم الرصاص؟

فقال «أحمد»: نعم.. قتلت حارس الباب حينما أقبل نحوى شاهرا سلاحه.. وقتلت «سارة» لأتخلص من إمساكها بى.. وكذلك «أوجستو» واثنين من الجواسيس المتخفين فى زى رجال الدين.. وتأكدت من حقيقتهم.. وبعد انطفاء الأنوار أطلقت النار على البعض من اليهود حين

تأكدت من ذلك قبل أطفاء الأنوار فماتوا على الفور ووقعوا صرعى على الأرض من إطلاقى وابلا من الرصاص فى وجوههم فوقعوا على الأرض ولم أعرف عددهم.. وغادرت المبنى وأصوات الرصاص تدوى من كل جانب ولعلهم ظنوا أننا لم نكن بمفردنا بل معنا آخرون لحماية ظهرنا.. ولهذا فهم يطلقون النار فى كل اتجاه عشوائيا.

وسكت «أحمد» قليلا كمن يتذكر شيئا غاب عن ذهنه فترة وقال:

لم أشك فى «سارة» إلا عند لقائى الأخير بها وتفتيشها لحقيبتى عند دخولى الحمام وبالصدفة المحضة.

إنهم يبحثون عن مستندات الأستاذ «كورد» فى كل مكان وحينما لم يجدوها فى حقيبة «شيرين» اتجهوا إلىّ عن طريق «سارة».. وهذا يفسر لى تهافتها علىّ وإصرارها على المبيت معى فى تلك الليلة وإعطائى كل شىء على الرغم من تمنعها وادعائها المرض فى كثير من الأوقات.

ونظرت «شيرين» إلى أخيها نظرة فيها عتاب وتأنيب على ما بدر منه من أقوال وتصرفات..

وقال الرجل المصرى: وستكون الأيام القادمة أشد خطورة وسوف يرسلون عملاءهم فى كل اتجاه وبالذات عليكما لأن الشبهات أصبحت تحيط بكما من كل جانب.. فيجب توخى الحذر وأخذ الحيطة.. لقد خسر العدو معركتين فى أقوى ميادينه ولن يسكت عن تلك الهزيمة مهما كان الثمن وعليكما الآن الذهاب إلى الفندق وقضاء الليل به ولا تغادراه طيلة النهار وستركبان قطار الثامنة مساء المتجه إلى نابولى حيث يكون فى انتظاركما هناك زميل آخر يعرفكما تماما وهمس فى أذنيهما بكلمة السر وحافظا على أصابع الروج حتى تسلم هناك ففيها حصاد مجهود كبير كادت حياتنا تضيع بسببه.

وخرج الرجل المصرى واتجه حيث لا يعلمان.. وبعد برهة قصيرة

صافحا صاحب المنزل وتسلل أحدهما وراء الآخر والتقيا خارج المنزل وسارا على هيئة عاشقين يتأبط كل منهما ذراع الآخر ويكاد أن يضمه فى الطريق وما أكثر مناظر العشق فى شوارع روما ومعهما باقه ورد مما تشتهى الأنفس وتسر العيون وكأنهما حبيبان أو مراهقان وكأنهما متحرران لا يعرفون معنى للعادات والتقاليد.. واندمجا فى هذا الدور اندماجا تاما حتى وصلا الفندق فتحررا من تلك التمثيلية البغيضة على نفسيهما ووضعا الورد فى الهول وهما فى حالة من الرعب ..

وصعدا إلى حجرتهما والليل أوشك أن ينتصف وأغلقا على نفسيهما الباب وتأكدا من وجود أصابع الروچ والكاميرا والمسدس وراحا فى سبات عميق.. تخللته أحلام مزعجة حتى أشرقت الشمس وازداد ضجيج الشارع وكثرت الحركة التى أحست بها «شيرين» أولا.. فقامت من سريرها واستبدلت ملابسها وسمعت رنين الهاتف فرفعت السماعة ولم يرد عليها أحد.. وتكرر الرنين وتكرر عدم الرد فلم ترفع السماعة بعد ذلك..

واستيقظ «أحمد» على صوت الرنين الملح.. فنزع فيشة التليفون من الحائط ثم عاد إلى سريره فى شىء من الفتور..

وأهابت به «شيرين» أن يستيقظ ليتناولا طعام الإفطار لأنها أحست بالجوع.. وتناولا معا إفطارا خفيفا وكل منهما يفكر فى واد.. وإن كان يجمعهما معا طريق واحد..

ونزلت «شيرين» إلى صالة الفندق وجلست فى ركن بحيث يمكنها مشاهدة جميع الداخلين والخارجين وتصفح وجوههم.

وتناولت صحيفة أمامها ومن حصيلتها الضئيلة فى اللغة الإيطالية فوجئت بخبر الأمس منشورا فى صحيفة الحوادث.. وارتعشت أطرافها وهى تشاهد صورا كثيرة لمجموعة من القتلى يصل إلى العشرة من بينهم «سارة»..

ومكتوب فى الصحيفة أن التحقيقات الأولية تشير إلى أن سبب وقوع الحادث تهور بعض السكارى واعتداثهم على الجالسين مما دفع البعض للرد عليهم ويؤكد بعض المحققين أن هناك سببا آخر وراءه ولا يستبعد أن يكون دافعا سياسيا بدليل أن بعض القتلى من ذوى المراكز المرموقة..

ومن المحتمل أن يكون القاتل أو القاتلة تمكنوا من الهرب ومازال التحقيق مستمرا وصرح المحققون بدفن القتلى والتحفظ على المكان..

وأخذت «شيرين» الصحيفة وصعدت بها سريعا إلى «أحمد» ليقرأها وتمنت لو وجدت وسيلة ما تسافر بها إلى ألمانيا فى نفس اللحظة..

وقرأ «أحمد» الصحيفة فى هدوء وقال لها:

من الطبيعى أن ينشر هذا الخبر.. ومن الطبيعى أن يكون هناك تحقيق وافتراض فهذا عمل الشرطة والنيابة.. وابتسم عند قوله:

ومالنا نحن وهذا الحادث.. لقد أتينا فى رحلة لزيارة معالم روما وسنعود اليوم ولا نعرف شيئا عن الموضوع إلا من خلال ما قرأناه فى الصحيفة مثل غيرنا من الناس..

وعليك أن تنزلى بسرعة وتجلسى مكانك وتضعى الصحيفة حيث كانت.. ولا تنظرى إليها مرة أخرى وكأن الأمر لا يعنيك فى قليل أو كثير.. واستجابت «شيرين» لرأى «أحمد» ورأت الصواب... فعادت إلى مكانها.. وجلست تشاهد القادمين والرائحين فى هدوء مصطنع وبين لحظة وأخرى تنظر إلى الصحيفة فى حركة لا شعورية..

ونزل «أحمد» بعد فترة فشاركها الحديث وأزال عنها شيئا من الوحشة التى تسيطر عليها.. ولم يلاحظا شيئا يثير الانتباه فالناس يذهبون ويجيئون فى حركة عادية.. وربما استلفت نظرها أشخاص معينون مروا بالقرب منها أكثر من مرة اعتقدت أنهم من العاملين فى الفندق وهذا طبيعة عملهم.. وبعضهم كان كذلك..

وانتصف النهار ولم يغادرا المكان فذهبا إلى صالة الطعام لتناول الغداء وبعد الانتهاء منه صعدا إلى حجرتهما للراحة..

وأخذا قسطا من النوم واستعدا للنزول فهما على موعد محدد خارج الفندق مع رجل المطار ليوصلهما إلى محطة القطار ويتلقيا منه التعليمات..

وغادرا الفندق منفردين وسارا فى شارع موازٍ له والتقيا برجل المطار كأنه لقاء عارض، وركبوا سيارة أجرة ذهبت بهم إلى محطة القطارات مباشرة.. واستلما تذكرتين محجوزتين.. واتجها إلى القطار وأخذا مكانيهما وعند تحركه.. حياهما الرجل بإيماءة خفيفة من رأسه وانصرف وانطلق القطار فى طريقه تاركا وراءه مدينة روما.. بكل ما فيها من ضجيج وحركة وأطلق لسرعته العنان كأنه يهرب من شىء..

والظلام يسدل أستاره على الجانبين والضباب يغلف الأفق برداء خفيف وأضواء تنير طريق القطار بحيث يستطيع المشاهد الرؤية من مكان قريب..

والقطار يقف على محطة ويترك الأخرى والمناظر فى الريف الإيطالى رائعة الجمال، فالخضرة ممتدة إلى بعيد والمصانع المختلفة متناثرة هنا وهناك ويخيل إليك وأنت تنظر من القطار أنك تسير فى الريف المصرى.. فما أقرب الشبه بينهما..

ولاحظت«شيرين» بنظرتها الفاحصة أن واحدا أو أكثر مروا أمامها عدة مرات وخيل إليها أنها شاهدت بعضهم من قبل..

وقدحت زناد فكرها: نعم إنها شاهدتهم فى الفندق.. وظنت أنهم من عماله.. هم إذا يقتفون أثارها مع أخيها..

عرفوا مكانهما فى الفندق وراقبوهما بعد ذلك.. فلابد أن يسافروا إما بالطائرة أو القطار عائدين إلى ألمانيا..

إلا أنهما لم يعودا إلى ألمانيا بل اتجها إلى نابولى فى القطار ولابد أن يكون لهذا السفر هدف ما.. فعلى المطاردين أن يسيروا خلفهما حتى يحققوا ما يريدون..

وعادت إليها التساؤلات مرة أخرى.. من هؤلاء المطاردون؟

ـ الروس؟ أم اليهود؟ أم جماعة «أوكراف»؟ أم الإيطاليون؟ أم بعض الشرقيين؟.

وحدثت «أحمد» بما شاهدت.. ولم يكن تفكيره بعيدا عن تصورها.. وأدرك أن شيئا ما سيحدث.. فلن يتركهما يصلان سالمين.. لقد أصبحا هدفا مرغوبا لأكثر من جهة وعليهما حسن التصرف..

وفى غفلة من المارين أخذ أصبعى الروج من «شيرين» وضمهما إلى ما معه ووضعهما فى حقيبته وخبأها تحت الكرسى الذى يجلس عليه وضم عليها قدميه بحيث لا يراها أحد..

وترك حقيبة «شيرين» فى مكان ظاهر للعيان حتى يراها الجميع وشربا كوبين من الشاى ليزيلا عن نفسيهما التوتر والقلق وادعا النوم حيث استرخيا على المقعدين الوثيرين.. وراحت أعينهما النصف مغلقة تراقب ما يحدث فى الممر الذى يفصل بين المقاعد..

وشغل الركاب ما بين نائم أو قارئ.. أو متأمل من النافذة.. وقل أن تجد بينهم مَنْ هو منتبه لما يجرى حوله.. أو ملتفت إلى غيره.. وكثرت حركة القادمين والرائحين فى الممر.. حتى جاءت فرصة سنحت لبعضهم فمد يده فى خفة وأخذ حقيبة «شيرين» بعد أن خيل إليه أنهما نائمان.. ولم يتحرك «أحمد» أو «شيرين».. واستمرا فى ادعائهما النوم.. وأسرع الرجل بالحقيبة وقد خبأها تحت إبطه وقبل أن يصل إلى نهاية العربة.. فاجأه آخر من الخلف وحاول انتزاعها منه وتشبث كل منهما بها ومن العربة الأمامية أقبل ثالث ونازعهما فى أخذ الحقيبة واشتدت بينهم

اللكمات بالأيدى.. والأرجل وانتبه الركاب لما يجرى ولم يعرف أحد صاحبة الحقيبة.. فإن «شيرين» لم تتحرك من مكانها ولا تريد أن تلفت النظر إليها..

فليس فى الحقيبة ما يستحق الاهتمام به أو ما يشير إلى شخصيتها وهى تريد أن تظل مع أخيها مجهولة حتى يغادرا القطار..

ويبدو أن اللكمات لم تحسم الموقف فحلت محلها المسدسات..

وبدأ إطلاق الرصاص بعد أن ذهبوا إلى العربة الأمامية.. وانكفأ الركاب أسفل المقاعد حتى لا يصيبهم الرصاص الطائش الذى استمر ينهمر أكثر من عشر دقائق.

والقطار مندفع فى طريقه والركاب يصيحون خوفا على حياتهم..

ووقف حرس القطار بعيدا عن مرمى الرصاص حتى تنتهى المعركة التى لم يعرفوا سببها بعد.. ثم يذهبون للمعاينة والتحقيق..

وأقبل أحد الحراس بعد فترة قصيرة يطمئن الركاب أن يهدأوا.

ويعودا إلى وضعهم الطبيعى.. فالمعركة انتهت.. وبلغ عدد القتلى ستة أشخاص لم تعرف هويتهم أو شخصياتهم أو جنسياتهم بعد واندس بعض المتقاتلين الآخرين وسط الركاب.. وسيتخذ اللازم فى المحطة القادمة التى يقف عليها القطار وأخطرنا الجهات المسئولة بذلك..

وتأكد «أحمد» أن بقية المهاجمين لن يتركوه أو يتركوا أخته..

فالمعركة أساسا اندلعت من أجل الاستيلاء على حقيبة «شيرين» وهم جميعا يظنون أن فيها الأسرار التى يجرون وراءها.

فاختطفها أحدهم وحاول ثان أن يستولى عليها ومن يدرى؟

فربما يكون هناك ثالث ورابع ومن الجائز أن أحد المختطفين الأحياء فتح الحقيبة فلم يجد بها شيئا يهمه وحينئذ سيعاود الكرة للبحث عن حقيبة أخرى لديها..

واتخذ «أحمد» قرارا سريعا حاسما.. فأصابع الروج لا يجب أن تقع بحال ما فى يد الأعداء وإذا عجزنا عن امتلاكها وتوصلنا إلى الجهات المسئولة بمصر فلن ندعها تصل إلى أى الجهات غيرنا.

ومن خلال الاضطراب السائد فى القطار أخرج «أحمد» أصابع الروج الأربعة ولفها جيدا فى عازل وأحاطها بمادة لاصقة.. تمنعها من التبعثر كل ذلك و«شيرين» تنظر إليه ولا تدرى ماذا يريد أن يفعل فلم تناقشه فى شيء تركته يفعل ما يراه مناسبا فالموقف لا يحتمل جدالا أو اختلافا.. وقام «أحمد» من مكانه مشيرا إلى «شيرين» أن تبقى حيث هى..

وضم أصابع الروج فى يده اليمنى وخرج إلى المكان الذى يفصل بين عربته والعربة التى خلفه ولم يجد أحدا موجودا فجميع الركاب يجلسون فى أماكنهم فى فزع خوفا من رصاصة طائشة تأتى من هنا أو هناك..

وحدد موقعا عرف معالمه تماما ورقم الكيلومتر الذى يقع فيه وبين النباتات الطفيلية التى تقع على الجانبين وقطع الأحجار المتناثرة والأشجار الخضراء الجميلة هنا وهناك.. فتح النافذة قليلا وألقى بأصابع الروج ورآها على الضوء الخافت تستقر بين حجرين وشجرة خضراء جميلة معوجة عليها ثلوج كثيفة من كثرة الأمطار الثلجية هناك وأغلق النافذة دون أن يلاحظ أحد شيئا ما..

واستراح لما فعله فالأصابع لن تقع فى يد العدو وإذا لم يتمكن رجال المخابرات المصرية من استردادها فيكفيه أن أفسد شيئا من تدبير العدو.. وعاد إلى مكانه هادئا كأنه أزاح عن كاهله حملا ثقيلا يضنيه.. ونظرت إليه «شيرين» فى تساؤل فتجاهل نظراتها كأنها لا تعنيه فى شيء.

ولم تعرف أين ذهبت أصابع الروج التى كانت فى يده ولاقيا فى سبيلها كل هذه المتاعب وأخرج حقيبة من تحت المقعد فوضعها فى مكان بارز فلم يعد يخاف على شيء فيها وأغمض عينيه فى صمت..

وهدأت سرعة القطار فهو يوشك على الوقوف فى محطة قادمة اقتربت ولاحت معالمها ومبانيها وتوقفت عجلات القطار تماما عندما دخلها كأنه يستريح من رحلة قاتلة تنزف فيها الدماء..

وشاهد «أحمد» و«شيرين» رجال الشرطة على رصيف المحطة ونقالات لحمل الموتى والمصابين.. دخلت العربة الأمامية وخرج رجال الإسعاف يحملون الجثث المغطاة.. ويساندون بعض المصابين الذين تبدو على وجوههم مظاهر الألم.

واستقل القطار عدد من رجال الشرطة والتحقيق ليكملوا عملهم داخل القطار حتى لا يتأخر عن موعده..

كان الموقف يخيم عليه الحزن والسواد والمسافرون يتمنون أن يصلوا إلى بلدانهم سريعا بعيدا عن هذا الجو الشاحب المقبض..

وواصل القطار رحلته بينما المحققون ورجال الشرطة يبحثون ويتحرون ويسألون الركاب عما شاهدوه ويحتجزون من تحوم حوله شبهة.. فمن قائل كانوا يتنازعون على حقيبة سيدة وآخر ينفى أنه شاهد شيئا وكل أدلى بدلوه من وجهة نظره الخاصة..

وقال «أحمد» و«شيرين» أنهما شاهدا المعركة عن بعد فى نهاية العربة ولم يعرفا أسبابها ودوافعها فهما سائحان أتيا للفسحة وزيارة المعالم ولا يريدان تنغيص رحلتهم السعيدة.. وتركهما المحققون فلم يجدوا لديهم جديدا.. بعد أن فحصوا حقيبة «أحمد» فلم يجدوا فيها غير ملابسه وبعض الأشياء التى لا تستلفت النظر أو تثير الشك..

ووصل القطار محطة نابولى فوجدا زحاما كثيرا عليها ذكرهما بمحطات مصر وانحشرا بين المزاحمين من العمال والفلاحين وغيرهما حتى وصلا خارج المحطة ووقفا يتأملان الميدان الواسع أمامهما والشوارع المحيطة به أنها تشبه إلى حد كبير مدينة الإسكندرية تجمع بين المتناقضات

المختلفة وتضم أشتاتا متعددة من ذوى المهن والصناعات ورجال الأعمال وشغلهما منظر الشوارع وتدافع الناس فترة من الوقت لايدريان طالت أم قصرت فلن يتحركا من هذا المكان حسب التعليمات..

ومر بالقرب منهما رجل ابتسم لهما فابتسما له ورفع يده فى إشارة معينة فردا عليه بمثلها وأقبل عليهما مصافحا ورأيناه مرتديا رباط العنق على جانبه صورة «أبو الهول» كرجل المطار..

وأشار بيده أن يتبعاه حتى وصل مبنى فى شارع جانبى فدخلوا معه فى شقة خالية وأغلقوا الباب خلفهم بسرعة وعرفهما بنفسه.. وأسرع «أحمد» فأخبر الرجل بأصابع الروج وحدد له المكان الذى ألقاهم فيه وأعطاه وصفا تفصيليا له وأنه يقع على مساحة طولها خمسة كيلو مترات بجوار شجرة معوجة وحجرين عليهما ثلوج كثيرة ..

وطلب الرجل زميلا له فى الهاتف.. فحضر بعد فترة وجيزة فكلمه بأن يأخذ معه آخر ويسافران إلى المكان المحدد فورا للبحث عن أصابع الروج وإحضارها قبل الصباح ويأخذان معهما كشافا للنور وما يلزمهما.. وكتب لهما كافة البيانات والمعلومات وأمرهما بالانصراف وسيكون فى انتظارهما فى تلك الشقة إلى أن يعودا ومعه «أحمد» و«شيرين» ..

وشرح «أحمد» شفويا للرجل مراحل تنفيذ عملية المعرض وصفا تفصيليا فمن الجائز أن تضيع أصابع الروج فيكون لديه فكرة عن المكان وحجراته والمترددين عليه.. وعدد القتلى وموت «سارة» وأنه اضطر لاستعمال سلاحه حتى لا يمسكوا به..

ونشرت الصحف فى روما وقائع الحادث وافترضت ظنونا كثيرة كما حدثه عن خطف حقيبة «شيرين» والمعركة التى دارت فى القطار من أجل الحصول عليها دون أن يكون فيها ما يستحق الاهتمام..

وقال الرجل:

إن جميع القتلى من الجواسيس وهم من جنسيات مختلفة وجميعهم يلهثون وراء جمع المعلومات لبلادهم أو لمصالحهم الشخصية وهذا يقتضى منا الحذر والحيطة فنحن نعيش فى غابة الذى ينجو منها هو القوى اليقظ.. وأنهما سيسافران مساء غد على الطائرة المتجهة إلى ميونيخ مباشرة.. وسيلتقيان هناك بساعى البريد الذى يأتى إليهما بين وقت وآخر لمساعدتهما وتوجيههما..

وقضى الرجل معهما بقية الليل حتى يزيل من نفسيهما الإحساس بالخوف والقلق.. ولكن قلوبهم جميعا كانت متعلقة بالرجلين الذين ذهبا فى المهمة الصعبة لإحضار أصابع الروچ..

المحطة الأخيرة

اتجه «أحمد» و«شيرين» إلى المطار ومعهما الرجل المصرى وكانت تغمرها السعادة.. فقد عاد الرجلان الموفدان بأصابع الروج سليمة وسلمت للمسئول عنها لأرسالها إلى مصر.

ولا شك أن الرجلين قاما بمجهود خارق لأنهما استقلا القطار الذاهب إلى روما فى نفس الليلة ونزلا فى أقرب محطة للمكان المحدد وسارا على قدميهما مسافة طويلة حتى وصلا إلى بداية المكان ومسحا منطقة تزيد على خمسة كيلو مترات متخذين المصابيح الكهربائية متعللين لمن يسألهم بأن حافظة نقود أحدهما سقطت من القطار وفيها بعض المستندات الهامة حتى عثرا على اللفافة متوارية بين حجرين..كما شاهدها «أحمد» الذى اعتبر أن هذا نصر من عند الله.. فما أيسر أن تضيع اللفافة أو يسقط عليها المطر الذى لا يكف عن الانهمار فى تلك المناطق فيتلفها أو يجرفها إلى مكان بعيد أو حتى يشك فيها رجال الشرطة فتقع اللفافة فى أيديهم.. وحمد الله وشكره على فضله سبحانه وتعالى.

وركبا الطائرة بعد أن ودعا الرجل الذى وعدهما باللقاء مرات ومرات.. وحلقت الطائرة فى ظلام الليل تقاوم العواصف والأمطار التى بدأت تنهمر فى شدة فتجعل الطائرة كلعبة صغيرة فى أيدى أطفال عابثين .. وكانت ترتفع وتنخفض لتتجنب المطبات الهوائية والركاب ينظرون فى خوف وفزع.. وأضيئت اللمبات الحمراء واختفت المضيفات.. واستسلمت «شيرين» للقدر.. فبالأمس واجهت مأساة القطار والرصاص الذى كاد يودى بحياتها وحياة أخيها وطمع الإنسان فى أخيه الإنسان واليوم تواجه غضبة الطبيعة والتى لا قبل لأحد بها وكأنها تريد أن تلقن الإنسان درسا ليعود إلى فطرته النقية الأصيلة.

وتركت لخيالها أن يتفلسف ويشطح إلى مالا نهاية حتى تبعد عن نفسها الواقع المرعب الذى تعيشه.

وخففت الطبيعة من غضبتها فاستقامت الطائرة فى انسيابها وهدأ الناس وتماسكوا.. وأعلن المذيع الداخلى عن اقتراب الطائرة من مطار ميونيخ فربط الركاب الأحزمة استعدادا للهبوط.

واستقرت الطائرة على الأرض ونزل المسافرون بعد رحلة قاسية كان الموت فيها قاب قوسين أو أدنى منهم.. وودعتهم المضيفات بابتسامة رقيقة تحمل فى طياتها الاستهانة بالمخاطر والتعود عليها واتجه «أحمد» و«شيرين» إلى شقتهما مباشرة فقضيا ليلة هادئة ناما فيها نوما عميقا بعد عدة أيام قضياها فى خوف وترقب.

وشعرت «شيرين» بألم فى ذراعها نتيجة لإصابتها برصاصة فلم تعطها الأحداث السابقة فرصة الاهتمام بالجرح وعلاجه بطريقة سليمة.

وفى الصباح اتجهت مع أخيها إلى الجامعة لاستكمال ما فاتهما من دروس.. وفى الطريق مرت على إحدى المستشفيات وادعت إصابتها بطريق الخطأ فقدموا لها العلاج المناسب وانصرفت إلى كليتها بعد ذلك.. وفى المساء اتصلت هاتفيا بعيادة طبيب الأسنان فلم تسمع ردا وخرجت إليها فوجدت على بابها يافطة مكتوب فيها مغلق للتحسينات.. وتحدثت مع إحدى زميلاتها فى العمل فحكت لها ما حدث.. وأن العيادة مضطربة وأجريت تحقيقات من الداخل والخارج وأغلقت حتى تنتهى التحقيقات بحجة إجراء بعض التحسينات.

وأبدت «شيرين» دهشتها لما حدث وعدم علمها به لأنها كانت مسافرة فى رحلة ترفيهية مع بعض أقاربها بعد أن أخذت إجازتها الاعتيادية ولم تعد إلا أمس.

وسألتها عن موعد مباشرة العيادة لنشاطها فنفت علمها بموعد محدد والمسألة متروكة لرأى الطبيب ووجهة نظره.

وخطر لها أن تذهب لزيارة الدكتور «حسام» فهى تشعر بحنين نحوه.. وحتى تخبره بعودتها وتشرح له ما فعلت فعسى.. أن يكون فيه تكفير عما أسلفت يداها.. إنها قدمت لوطنها خدمة كبيرة وتريد أن تتباهى بها أمام الدكتور «حسام».

وأخبرت أخاها بعزمها حتى يعرف أين ذهبت ويطمئن عليها واتجهت إلى شقته فى ثقة بنفسها واطمئنان له.

وضغطت على جرس الباب ففتح لها.. ورحب بها ترحيبا كبيرا فدخلت صومعته أو معمله الصغير.. وأجلسها فى الصالة ريثما ينتهى من حديث هام له مع أحد الضيوف فى مكتبه.

واستطاعت أن تلمح الجالس من بعيد وتسمع صوته وخيل إليها أنها تعرفه أو شاهدته من قبل .. وسمعت أطرافا قليلة من الحديث الدائر بين الدكتور «حسام» وضيفه لم تستطع أن تسمع منه أكثر من أنه حوار على جانب كبير من الأهمية.. ولاحظت أن الحديث لا يلاقى قبولا من الدكتور فهمت ذلك من حركات يديه واهتزاز رأسه والبسمة الساخرة التى تلوح على شفتيه ومسحة الغضب التى تتراءى على وجهه..

وبعد فترة خرج الرجل فالتقت نظراته بـ «شيرين» .. وأطال إليها النظر بقدر ما تأملته وتأكدت أنها رأته من قبل.

وشغلها حديث الدكتور «حسام» وإقباله عليها من أى شىء آخر ولمحت فى عينيه حبا كبيرا وأملا أكبر.

ولم تدع حديث العاطفة ينساب بينهما كثيرا.. فشرحت له فى فخر واعتزاز كل ما فعلته مع أخيها فى روما وفى القطار.. كانت تحدثه كأنها تروى ملحمة بطولية يجب أن تسجل لها ولأخيها فى سجل الخالدين.

لأن الموت كان أقرب لها ولأخيها من كل شيء.. ولكنها انتصرت عليه واستطاعت أن تقدم لمصر شيئا ذا بال.

وأثنى الدكتور عليها ثناءا عاطرا وتمنى أن يشاهد أخاها ليقدم له التحية.. وابتسم ابتسامة ذات مغزى وهو يقول:

سأقابله قريبا جدا لأمر خاص يهمنا.

وتجاهلت «شيرين» تلميح الدكتور ونظرت إلى الأرض فى حياء كأنها تبحث عن شيء ضائع فى حياتها ووجدته.

وسكتا برهة قصيرة تفاهمت فيها عيونهما كل التفاهم وعبرا عما فى نفسيهما دون كلام كان حديثا صامتا أبلغ من أى شيء آخر.

وقطع الدكتور حبل الصمت قائلا: سأحدثك عن حياتى ومشروعاتى.. وما دمت عرفت سرك فسأطلعك على سرى.. وهو لا يقل خطورة عن الأدوار التى قمت بها.. إن لى بحوثى العلمية الكثيرة والناجحة فى مجال الذرة والتكنولوجيا.. وقد تمكنت من اختراع جهاز دقيق غير مسبوق فى العالم يحدد موعد إقلاع الطائرات واتجاهاتها.. وهذا يعطى القوات المصرية فرصة المبادأة وهى ميزة لا نظير لها فى العالم لأن أخطر ما يواجهنا الآن هو الطيران الإسرائيلى.. فإذا تمكنا من السيطرة عليه ستكون لنا الغلبة.. والجهاز كانت تنقصه بعض المعدات لم أجدها فى مصر وهذا أحد دوافعى للحضور إلى ألمانيا لإتمامه.. وابتسم وهو يقول:

وحتى أراك يا «شيرين» ـ وقد تمكنت من إتمام الجهاز ماعدا بعض القطع الصغيرة لم أستطع الحصول عليها بالطريقة العادية فأحضرها لى اليوم الصديق الذى كان معى الآن.. احضرها لى بطريقته الخاصة.. وفى خلال أيام سيتم تركيبه وأسلمه للسفارة المصرية فى سويسرا.. ولا أدرى كيف تسربت أخبار أبحاثى العلمية وتأكدت الجامعة من جديتها وصدقها ـ وأنت تعلمين مدى حبهم للبحث والتطور واستقطاب العلماء والمبتكرين

ـ وعرضت عليّ حكومة ألمانيا الجنسية الألمانية وتركت لى تقدير الراتب الذى أريده على أن تهيأ لي جميع معامل البحث وتضعها تحت تصرفى بشرط أن تكون جميع الأبحاث ملكا للحكومة الألمانية لا ينازعها أحد فيها.

وعرض عليّ صديقى الذى شاهدته الآن أن يشترى الجهاز بالمبلغ الذى أقدره مهما كان مرتفعا.. وأشار بطريق خفى أنه سيقدمه إلى دولة تمنحنى جنسيتها فورا وتعد لى المكان المناسب لنبوغى وعبقريتى.. وعليّ أن أشترط وعلى الدولة أن تستجيب فورا..

ولم أعلم من هى الدولة التى يريد أن يعطيها الجهاز وهل هى روسيا أم غيرها وحينما شعرت بعيون كثيرة تترصدنى قررت أن أنتهى منه سريعا وأسافر به إلى سويسرا ليصل إلى مصر عن طريقها بعيدا عن مراقبة الألمان وغيرهم فى ميونيخ.

وقد رفضت بشدة جميع تلك العروض.. فعملى وكفاحى لهدف واحد هو مصر.. ومما آثار دهشتى الحاح صديقى اليوم على بيع الجهاز له ورفضى لعرضه بشدة حتى أخطأت وقلت له:

إننى سأنتهى منه وأرسله إلى مصر عن طريق سويسرا فى خلال أسبوعين.

وسكتت «شيرين» قليلا كمن تتذكر شيئا طرأ على ذهنها ثم قالت:

ومن يكون هذا الرجل؟

فقال الدكتور: إنه صديقى «مالينكوف».. رجل مسلم من إحدى دويلات الاتحاد السوفيتى.. وعرفته عن طريق المسجد والقهوة وساعدنى فى أمور كثيرة ولكن آراءه لا تعجبنى وفى بعضها نغمة غريبة لم أستطع فهمها بعد.

وقالت «شيرين»: يخيل إليّ أننى رأيته من قبل فملامحه ليست غريبة

عليّ .. ولكننى لا أتذكر أين رأيته فعيناه وحركاته وقسمات وجهه منطبعة فى ذهنى تماما وأظننى رأيته ذا لحية خفيفة وليس حليقا كما هو الآن.. وسأحدد لك أين رأيته بعد مراجعتى لنفسى وتأكدى من حقيقته.

وسألته لماذا عن طريق سويسرا وليس عن طريق ألمانيا؟.

فقال: لأن الألمان يرفضون خروج أى مبتكر علمى من بلادهم إلا بتصريح خاص.. ولن تسمح بخروج هذا الجهاز لأن الجهات العلمية هنا عندها فكرة عنه وتتمنى الاستيلاء عليه لاستغلاله لحاجتها.

وأحست «شيرين» أن الوقت تأخر بها.. فاستأذنت فى الانصراف وصمم الدكتور على مصاحبتها حتى تركب إلى منزلها.. وسار معها واختار تاكسيا فركبته إلى وجهتها.

وعاد الدكتور يواصل أبحاثه المعقدة ويضع اللمسات الأخيرة فى جهازه لينتهى منه خلال المدة التى حددها.. وأحس أن الوقت ليس فى صالحه فعليه أن ينجزه قبل أن تتسع الدائرة عليه.

ومضت أيام وهو فى عمل دائم وساعدته الأجهزة التى أحضرها له «مالينكوف» فى إتمام الجهاز على الوجه الأكمل.. وبدأ يستعد للسفر إلى سويسرا كبلد محايد لتسليم الجهاز للسفارة كعمل علمى مكلف به من الجهات المسئولة فى مصر.

وحدد اليوم الذى سيسافر فيه إلى سويسرا.. واتخذ الإجراء اللازم لذلك.

وحضرت «شيرين» لزيارته وكان معها أخوها «أحمد».

وسعد بهما الدكتور كثيرا ودارت بينهم أحاديث عديدة متشعبة وأخبرهم أنه سيعود إلى مصر نهائيا فى آخر هذا العام ليجرى التجارب الفعلية والعملية على الجهاز فى مصر حيث الأجواء الفسيحة التى تعينه على سد الثغرات إن وجدت ثغرات.

واقترح «أحمد» أن يسافروا بالسيارة بعيدا عن مضايقات المطار وما فيه من إجراءات وأنه سائق ماهر وسيحضر سيارة بمعرفته ويكون برفقته مع «شيرين» وهى فرصة لرؤية سويسرا والاستمتاع بمناظرها الجميلة ويقضون يومين معا !! .

وبعد تسليم الجهاز للسفارة يعودون.. وقبل الدكتور هذا الاقتراح وكان به سعيدا.

ومرت الأيام السابقة على رحلة سويسرا والأحلام الجميلة تداعب «شيرين» وتحلق بها فى أجواء وردية ساحرة يضيئها لها «حسام» بكل ما فيه من قيم جعلتها تعيش أسيرة حبه وهواه.

وفى يوم الجمعة التقى بـ «مالينكوف» فى مسجد المدينة.. ودار بينهما حوار يعتبر امتدادا للحوار السابق حول الجهاز وبيعه له والثروة التى ستهبط عليه والمكانة المرموقة والمركز العظيم اللذان سيصل إليهما.

وحسم الدكتور «حسام» الموقف ببراءة وتلقائية قائلا له:

أنه سيسافر إلى سويسرا غدا فى أمر يتعلق بالمشروع.

ونظر إليه «مالينكوف» نظرة طويلة تحمل كثيرا من المعانى التى لم يستوعبها الدكتور «حسام» ولم تطف بذهنه من قبل.

وفى المساء المحدد جاء «أحمد» بالسيارة ومعه «شيرين» وصعدا إلى شقة الدكتور «حسام» حيث جلسا قليلا ووضعا الجهاز فى صندوق مناسب والملفات الخاصة به فى حقيبة صغيرة.. ثم ركبوا السيارة فى طريقهم إلى سويسرا.

كان الوقت مساء بحيث يمكنهم دخول سويسرا فى الصباح وإنجاز المهمة فى نفس اليوم وقضاء يومين آخرين للراحة والترفيه عن النفس وانطلقت السيارة فى طريقها.. واتخذ «أحمد» الجانب المتوسط للسرعة احتياطا وتحسبا لأى خطر.. فهو يحمل كنزا غاليا لمصر العزيزة يحرص على أمنه وسلامته.

وكان الضباب يغلف الأفق وقطع السحب الثقيلة تتجمع ويدفع بعضها بعضا كأنها تريد أن تنقض على الأرض فى غضب وإصرار والثلوج تتساقط من السماء على الأرض والطريق ملىء بالسيارات وكلها تتسابق إلى غاياتها وأهدافها والأضواء الخافتة تنعكس عليها فتبدو كأشباح مفزعة تظهر وتختفى والمساحات تزيل الثلج من فوق زجاج السيارات.

وعند منحنى فى الطريق أبطأ «أحمد» سيارته فقد شاهد سيارة معطلة تسد الطريق بعد أن انحرفت إلى وسطه.. ومال إلى أقصى اليمين ليتخطها وينصرف.. وفجأة ظهر من خلفها رجل مقنع ومعه آخر يحملان مدفعين رشاشين.. ولم يستطع «حسام» أن يتبين ملامحهما من خلال الضوء الشاحب.. ظنهما لأول مرة لصين يريدان أخذ ما معهما من نقود.. ومثل هذا العمل منتشر كثيرا فى أوربا.. وصاح أحدهما فى لهجة آمرة: سلمنى الصندوق الذى معك والمستندات الخاصة به.. وذهل الدكتور «حسام» لهذا الأمر.. وطافت بذهنه ظنون كثيرة.. وعقدت المفاجأة لسانه.. فلم يستطع الحركة ولم يتمكن «أحمد» من اخراج مسدسه.

وأحس «حسام» أن البناء الكبير الذى شيده فى سنوات طويلة بالعرق والسهر قد انهار.

ووسط هذا الذهول والبلبلة.. انطلق سيل من الرصاص وراء الرجلين المهاجمين فسقطا صريعين يتخبطان فى دمائهما دون أن يتمكنا من الدفاع عن نفسيهما.. وإذا بالرجل المهاجم هو ساعى البريد الذى زار «أحمد» و«شيرين» أكثر من مرة.. وتقدم وكشف عن وجه القتيلين.. وحينما ظهرا.. صاح «حسام» فى دهشة وفزع:

انهما «مالينكوف» و«ليلى».

وقال ساعى البريد فى هدوء موجها الحديث إلى «حسام»:

إنك لم تفهم حقيقة هذا الرجل.. لقد كنا نتابعه خوفا عليك وتأكدنا

مما سيفعله اليوم فأتيت من طريق آخر ووقفت خلفه بحيث لا يرانى حتى أبطل تدبيره.. إننا أبقينا عليه طيلة الأيام السابقة ولم نخبرك بحقيقته حتى يحضر لك الأجهزة التى تريدها.. وهو لم يحضرها حبا لك أو رغبة فى مساعدتك.. ولكن لتكمل الجهاز وينتزعه منك.. وقدم له الغير هذه الأجهزة لتوصيلها لك وكانوا مطمئنين إلى أن الجهاز سيصل إلى أيديهم فى نهاية المطاف.

أما «مالينكوف» فاسمه الحقيقى «دانيال ناحوم» و«ليليان» ليست أخته وهما من أخطر عملاء الموساد.. إنهما يهوديان يتلونان بألوان مختلفة حسب الظروف.. وقد سلكا بذكاء جانب الدين ليتسللا عن طريقه إلى ما يريدان.. فالدين له أثر على النفوس.. واستغلاله وسيلة لتحقيق ما يعجزان عن تحقيقه بالوسائل الأخرى.. ولذلك فهما مرة مسلمان يصادقان المسلمين.. وأخرى مسيحيان يتعبدان فى الكنيسة أو يهوديان يذهبان إلى المعبد وهكذا.

الدهشة والذهول على وجه الدكتور «حسام» مما سمع وتأكد أن الإنسان قد يفهم شيئا وتغيب عنه أشياء.. وكثيرا ما يخون الذكاء صاحبه فى بعض المواقف.. وأشار عليهم ساعى البريد أن ينطلقوا سريعا فى مهمتهم قبل انكشاف أمر القتيلين ويأخذوا حذرهم.. فلسنا نعرف ما يخبئه الطريق وسيعود هو من حيث أتى.. وهناك من يحاول الحفاظ عليهم من رجالنا طيلة الرحلة حتى الوصول إلى سويسرا.

وانطلق «أحمد» بالسيارة و«حسام» بجواره و«شيرين» تجلس فى المقعد الخلفى.. وكل منهم يفكر تفكيرا عميقا له دلالات معينة.

تذكرت «شيرين» «مالينكوف» الذى غاب عن ذهنها فترة.. إنها رأته فى أحد اجتماعات عملاء إسرائيل - وتألمت وهى تتذكر سقطتها وسقطة أخيها فى فترة من فترات الضعف - تذكرته جيدا بلحيته التى تطول مرة وتقصر مرات وباسمه الذى يتبدل ويتغير فى كل اجتماع.

ولكن الشيء الذى لم يغب عنها نظراته الثاقبة التى تتلون لشخصيته وصوته الذى يرتفع وينخفض كصوت ممثل يقف على خشبة المسرح.

وكيف استطاع بدهائه ومكره أن يتسلل إلى «حسام» ويخدعه ويزيف عليه حقيقته ويصل إليه عن طريق الدين.. وهو الجانب القوى المتمكن من ضمير «حسام» ووجدانه.

واتخذ «أحمد» الجانب السريع من الطريق حتى يصلوا بسرعة.

وتمنى لو سافروا بالطائرة فربما كانت أسرع وآمن.

ولاحت ملامح الحدود السويسرية.. وبدأ الجو قاتما ينذر بعاصفة والسحب السوداء يضم بعضها أشتات بعض والجليد يتساقط كدقيق أبيض يكسو وجه الأرض واختفت ذوائب الأشجار وقمم الجبال تحت رداء أبيض ناصع كأنك تسير فى إحدى المناطق القطبية.

ومازالت «شيرين» سابحة فى فكرها يختلط فيه الماضى بالحاضر بالمستقبل.. و«حسام» يسترجع ذكرياته منذ عرف «مالينكوف» وأخته وكيف عاش فى خدعة كبيرة لم يتبينها غير اليوم.

حقا إن الدنيا مسرح كبير أو غابة فسيحة يتربص كل ما فيها ومن فيها بالآخر ..

ودخل «أحمد» بسيارته المنطقة المحايدة التى تقع بين الدولتين وسار على مهل وظهرت أمامه عن بعد البوابة الضخمة التى سيدخلون منها إلى سويسرا.. وفجأة ظهر من خلف إحدى التلال بضعة رجال.. وقبل أن يتبين «أحمد» حقيقتهم أو يستعد لمواجهتهم انهالوا بالرصاص من مدافعهم الرشاشة على الجانب الذى يجلس فيه «حسام» .. وحاولوا إيقاف السيارة بضرب عجلاتها.. وانطلق «أحمد» بأقصى سرعته والرصاص يتابعه من كل جانب.. ووصل السور الفاصل بين الحدود فاقتحمه فى عنف وعلى بضعة أمتار داخل الحدود السويسرية توقفت السيارة بعد أن تمزقت عجلاتها تماما ومالت إلى جانبها فى استمرارية وانحدار عشوائى سريع.

ولم يستطع المهاجمون أن يتخطوا الحدود السويسرية فوقفوا فى آخر الحد الفاصل يأسفون على الصيد الذى أعدوا له الشراك فهرب من قفصه.

واشتبك رجال الحدود السويسرية مع المهاجمين فى معركة قصيرة لم يستطع «أحمد» أن يعرف نتائجها.

وبسرعة فتح «أحمد» الباب المحطم من السيارة.. وتعاون مع «شيرين» فى إخراج «حسام» منه لأن الرصاص كان من جهته.

كان «حسام» مصابا إصابات بالغة فقد استقرت كثير من الطلقات فى جسده.. وحمل بعيدا عن السيارة حيث أحضر لهم رجال الحدود نقالة فوضع عليها و«شيرين» و«أحمد» بجانبه يقدمون ما يستطيعان فعله، وجاءت سيارة الإسعاف سريعا فنقل إلى أقرب مستشفى على الحدود والدماء الغزيرة تنزف من جسده الطاهر.. لم يتكلم طيلة المسافة من الحدود إلى المستشفى وراح فى غيبوبة.. وبدت أطياف الماضى تعاود خياله.. طفولته مع أخوته وصباه فى القرية وعبثه بمحتويات المنزل وشبابه فى المدرسة والجامعة ورجولته فى العمل والكفاح.. خيط طويل مر أمامه وكأنه يعايشه ويعيش فيه.. وألوان بيضاء وخضراء تتراقص أمامه وتسابيح سماوية تعزف له أجمل الألحان.. يسمعها هو ولا يسمعها غيره.. ووصلوا إلى المستشفى فنقل إلى سرير فيها تمهيدا لإجراء جراحة له وأمسكت «شيرين» بيده ودموع ساخنة تترقرق فى عينيها تكاد أن تحرقهما.

وأفاق من غيبوبته فنظر إلى «شيرين» فى ابتسامة واهنة لم تطل كثيرا وعاودته الغيبوبة.. وسمعته يردد فى صوت كأنه آت من بعيد:

سيكون زفافنا اليوم يا «شيرين».. ما هذا الثوب الأبيض الجميل الذى تلبسينه.. إنك تظهرين كملاك .. إنك تحلقين معى فى الفضاء كطائرين لهما جناحان.. إننى أسبقك فى الصعود.. الحقى بى هيا قبل أن أختفى عنك فى الفضاء البعيد.. البعيد.. و ...

ولم يستطع أن يكمل الكلمة وانزلقت يده من يد «شيرين» لتستقر بجواره فى هدوء ملائكى حزين مع هطول الأمطار الثلجية على زجاج المستشفى.. ورفعت «شيرين» اليد العظيمة وطبعت عليها قبلة طويلة أودعتها كل ما فى قلبها ووجدانها.. وتركت لدموعها العنان ينهمر كما يريد.

سكت إلى الأبد العقل العبقرى الذى قل أن يجود بمثله الزمان.

وأبلغت السفارة المصرية فحضر مندوب عنها.. وأعد الجثمان للسفر إلى مصر ملفوفا بالعلم المصرى.. وتم إرسال الجهاز العظيم إلى الإدارة المصرية بمصر عن طريق الحقيبة الدبلوماسية التى لا يتم تفتيشها فى المطارات الدولية..

وعادت «شيرين» مع أخيها لا يدريان أين الطريق.. لقد امتلأ بسواد حالك لا يتبينان من خلاله شيئا.

فى قرية من قرى مصر حيث عاش «حسام» طفولته وصباه رقد فى ثراها الطاهر الذى كان يصنع منه فى الماضى الدمى والتماثيل ويسابق أترابه وأصدقاءه ويعبثون به أو يعبث بهم.. ووسد بجوار جثمان والده الفنان الكبير.. لقد عاشا لمصر وماتا لمصر..

وعند إغلاق المقبرة.. سمع هذا النشيد.. لم يكن آتيا من المذياع.. ولكن الجماهير من أبناء قريته كانت تردده:

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر فوق كيد المعتدى.. والله للمظلوم خير مؤيد..

أنا باليقين وبالسلاح سأفتدى.. بلدى.. ونور الحق يسطع فى يدى.. الله أكبر فوق كيد المعتدى..

وفى مكتب المخابرات بمصر عن طريق اجتماع قيادة المخابرات نعرف أن ساعى البريد كان رجلاً تابعا للمخابرات العامة وله رتبة عسكرية ويقدم

الوثائق والصور التى تدل على أنه قام بقتل العملاء الخونة الذين قتلوا عالم الذرة الدكتور «حسام» ونرى من خلال الصور المقدمة للمخابرات نرى العملاء وهم مفترشون الأرض والدماء من حولهم وعلى ملابسهم ورجل المخابرات يقول الحمد لله هذا من فضل ربنا وقضينا عليهم جميعا يا أفندم والحمد الله. وآخر كلماته الحمد لله..

وسيخلد التاريخ هؤلاء العلماء مثل : «مصطفى كامل» و«سعد زغلول» لأنهم قدموا لمصر الكثير فى آخر حياتهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾

صدق الله العظيم

هـــذا الكتـــاب

صراع الخمسة الكبار منذ الحرب العالمية الأولى وحتى نهاية القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين منصب على الصراع والسباق نحو التقدم العلمي والنووى والفضائى والتسلح بأحدث المعدات والتكنولوچيا وذلك للسيطرة على مقدرات وثروات العالم.. والرواية عن حادثة واقعية لعالم ذرة اخترع جهازا للتجسس والتصنت.. وقام بتصميمه في ألمانيا الغربية .. هذا الجهاز كان في حجم كف اليد مرتين ، وكان هذا الجهاز يستطيع التصنت والتجسس على الطائرات الحربية المغيرة على الهدف مباشرة وكان معجزة حربية بكل المقاييس وحاولت الدولة الألمانية عن طريق الچستابو الألماني شراءه فرفض، وحاولت اليابان شراءه فرفض، وكذلك روسيا والموساد الإسرائيلى فرفض أيضاً ..

وبدأ الصراع لهذه الدول الكبرى لخطفه بأى وسيلة ولو كانت مثله ووضعوا خطة لقتل العالم ولكنه هرب من ألمانيا إلى سويسرا وعلى الحدود السويسرية الألمانية بالتحديد، وكان العالم قد وصل بالعربة الخاصة به والثلوج والأمطار تسد الطريق وفجأة ومن كل اتجاه تنهال النيران عليه والقذائف النارية من كل اتجاه .. وكانت المخابرات المصرية قد وصلت المكان واشتبكت مع القتله وبعد معركة شرسة استشهد العالم .. ولكن المخابرات المصرية حصلت على الجهاز بعد معركة ضروس رهيبة وعادت إلى مصر .

الناشـــر